تاريخ اليمن الحديث

(فترة خروج العثمانيين الأخير)

تأليف : عبدالله بن محسن العزب

تحقيق
عبدالله محمد الحبشي

تاريخ اليمن الحديث

تطلب كافة كتب « منشورات المدينة » من

شركة
دار التنوير
للطباعة
والنشر
ش.م.م.

الصنوبرة
أول نزلة اللبان
بناية عساف

ص.ب: ٦٤٩٩-١١٣
هاتف: ٨٠٦٣٥٩
بيروت - لبنان

تاريخ اليمن الحديث

(فترة خروج العثمانيين الأخير)

تأليف : عبدالله بن محسن العزب

تحقيق

عبدالله محمد الحبشي

الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م

منشورات المدينة

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

لا بد لنا ونحن نستطلع مصادر التاريخ اليمني الحديث أن نقف عند المواجهة الشجاعة لأهل اليمن في وجه الأتراك، وما ساهمت به الكتابات اليمنية من مؤلفات تاريخية كبيرة، ترصد تلك الأحداث البطولية التي نادراً ما تتفق لشعب واحد غير اليمن، فهناك الملاحم الخالدة التي حفلت بها متون التاريخ اليمني من منذ مؤلفات المؤرخ اليمني الكبير المطهر بن محمد الحرموزي المتوفى سنة ١٠٧٧ هـ حتى كتابات المؤرخ اليمني المعاصر محمد بن محمد زبارة المتوفي سنة ١٣٨٠ هـ.

وهو حشد كبير من الإنتاج يستصعب حصره الباحث النشيط وتكلَ عنده المطابع، ولا بأس من أن نقف من حين لآخر عند بعض الكتب المحقّقة التي تفاجئنا بها المطابع من ذلك الحشد الكبير، ولكنه ليس كل الانتاج ولا اهمّه.

وكان أكثر ما كتب في هذا المجال يتعلق بالتصدّي الأول لقدوم الأتراك الى اليمن في القرن العاشر، ثم تنطوي قرابة قرنين من الزمن تكون البلاد فيها قد نعمت باستقلالها وحريتها، حتى يأتي النصف الثاني من القرن الثالث عشر، وتعاد الكرة لصراع أهل اليمن مع العثمانيين وهي معارك كبيرة وطويلة لا تقل بطولة وإقداماً عن سابقتها.

لكن المصادر لا تسهم بالشيء الكثير من الوصف والتدوين لتاريخ

تلك المواجهة الأخيرة، وهي بضعة كتب، كـان من أهمها تـاريخ الحـرازي وتلميذه والزبيري الذي تأتى لنا نشر كتابه، ما عداهما لا يكاد يذكر سوى ما كان من سير لأئمة هذه الفترة التي نعنيها.

ومـع ان اليمن عاش في العصـر الحديث وشهـود الصحف والمجلات الدورية التي ترصد الأحداث وأخبارها إلّا أنه لم يحظ بشيء منهـا، ولـم يبق امـامنـا سـوى تلك الأعمـال الفـرديـة التي تجّـرد لهـا رجـال مخلصـون من المؤرخين اليمنيين، ومن ثم كـان البحث عن تلك المصادر المكتـوبة مهمـا كان نوعها وميولها ضرورة حتمية لطالب البحث في هذا المجال.

ولحسن الحظ سلمت لنـا بعض المصادر من عـاديات الـزّمـان وبقيت متشبثة بأصولها من مسودات كتبها مؤلفوها او انتسخت عنها وهي قليلة ونادرة جداً.

ومن بين تلك الأصـول التي نعنيها هـذا الذي بين يـديك وقـد احتفظ بخط مؤلفه كما أراده وبيّضه.

ومؤلف هذا الأثر النفيس نـظن أنه الأديب والمؤرخ اليمني الكبيـر عبد الله بن محسن العـزب أحد رجال اليمن الأحرار الذين جمعتهم مجلة الحكمة بكتاباتها الحرّة الإصلاحية.

وعلى الرغم من ان الكتاب لا يحمـل اسم مؤلف أو عنوان، ولا حتى ديباجة تشرح الكتاب وأهدافه ومضامينه فقد أكّد لي شيخنا العلامة احمد بن محمد زبارة أنـه خط الأستاذ العزب المذكور وتـأيد لي هـذا من خلال تنسم نفس الكـاتب وأسلوب تعبيـره الـذي وقفنـا عليــه أوّلاً على صفحـات مجلة الحكمة ونشر في كتاب مستقل عن هذه المجلة.

عبد الله العزب

ترجم له الأستاذ الدكتور عبد العزيز المقالح فقال:

ولد عبد الله العزب في قرية السفياني من قرى الحيمة الداخلية عام ١٩٠٣م تقريباً. ونشأ يتيماً فقد اختطفت المنية أباه قبل أن يرى الطفل النور، وفي سن الصبا المبكر حمله عمه إلى مركز الناحية «العر» وهناك تلقى دراسته الأولى، وأظهر تفوقاً دفع بالعم إلى الانتقال به إلى صنعاء لاستكمال تعليمه في المدرسة العلمية (دار العلوم) وليكن على صلة بعلماء العاصمة الذين أحسنوا رعايته وعجبوا من استعداده الفطري لاستيعاب مختلف العلوم اللّغوية والفقهية والكلامية وكان ذكاؤه اللماح وتوهّجه المتألق جناية عليه، فقد أدرك في وقت مبكر فساد النظام الحاكم، وسوء القيادة وما كاد يتخرج من المدرسة حتى استقبله «سجن القلعة» بتهمة اختصار القرآن مع عدد من زملائه الثائرين والمتمردين على نظام الإمام يحيى.

ثم خرج العزب من السجن رافع الرأس قوي الإيمان، وعندما ظهرت «الحكمة» كان واحداً من أبرز كتابها، في نفس الوقت الذي كان ينظم عدداً من القصائد الثائرة التي تحول إلى مناشير غاضبة ضد الإمام وحكمه، وقد عمل مدرّساً ثم مفتشاً تربوياً، في حقل التعليم، وعندما اشتد نشاطه رأى الإمام ابعاده عن العاصمة واختار له منصب القضاء في مدينة «حيس» في ظروف صحية سيئة. ولم يقض، في منصبه سوى عامين، ثم أدركته الحمى وفي تعز التي حملوه إليها للعلاج لقي وجه ربه عام ١٩٤٤.

تلك حياة مؤلفنا العلامة العزب كما أجملها الدكتور عبد العزيز المقالح في كتابه احمد الحورش ص ١٧٤ ومن الغريب انها سقطت من كتاب نزهة النظر مع ان مؤلفه كان من المعاصرين والمشاركين له في البحث التاريخي.

وقد سألت ابن المؤرخ زبارة شيخنا العلامة احمد بن محمد زبارة ترحمه للمذكور فأحالني على كتابه مستدرك نزهة النظر ومنه اهل حصد، الترجمة كاملة لما فيها معلومة هامة يقول:

عبـد الله بن محسن العزب مـولده سنـة ١٣٣١ هـ والتحق بالمـدرسـة العلميـة عند فتحهـا سنـة ١٣٤٤ هـ وهـو مـراهق بـالقسم الأول وتـدرج في مناهجها بسرعة وظهر نبوغه وفاق اقرانه وتخرج منها بتفوق ودرس ايضاً لـدى القاضي لطف الزبيري وسيـدنا حسين العمـري وطالـع كتب الأدب والتاريـخ والكتب العصرية والصحف وكـان صريحـاً ينتقد بصـراحـة فحبس مـع احمد المـطاع ومحمد المـطاع وعلي الشمـاحي والعـزي صـالـح السنيـدار ومحمـد المحلوي وغيرهم ولما حبسوا اختلق الغوغاء اسباباً لحبسهم بأنهم اختصـروا القـرآن وسموهم «درادعة» يهود منحـرفين. ولعله أول حبس للأحـرار وكـان كاتب الأحرف احمد بن محمد زبـارة يزورهم الى القلعـة بسهولـة واعطيتهم الصحف وفيها مقالات لمحمد علي الطاهر ولمحيي الدين العنسي ولـوالدي المؤرخ زبارة من بغـداد سنة ١٣٥٤ وأرسـل اليهم هدايـا كعنب وغيره. ثم كتبوا الى الإمام يحيى استعطافاً وتوبة يرجون اطلاقهم، فأجاب بخطه:

اصلح الله شأنكم صدرت «التصفيـة» للإمـام يحيى بن حمزة في علم الباطن انسخوها وطالعوها لتصلح الباطن والظاهر.

ثم راجع لهم السيد قاسم العزي والقـاضي راغب وغيرهمـا فاطلقـوا. وتعين العزب حاكماً لحيس وعلي الشماحي لـوصـاب السافل ومـات به. امـا العـزب فسار في حكـومة حيس سيـرة محمودة بـالعفة وعـدل فحمـده النـاس واحبوه لا سيما الشهيد الحاج الخادم غالب فقـد أعانـه بكل شيء وجعـل له في ارباح تجارته ثم مرض بحيس بالسّل وكان صديقـه الحميم القاضي علي الزنداني عنده فأوصلـه الى مستشفى تعـز مع الحـاج الخادم غـالب. وهناك توفي سنة ١٣٦٥ هـ.

وممن رثـاه الأديب الكبير احمد بن محمد الشامي تلميذه بهذه المـرثاة:

الـفــؤاد الـطاهـر الأهـوى ذاب   والشبـاب الساطـع الأضـواء غـاب
فـالسمــاء تـبحـث عن كـوكـبهـا   والهـوى يبكي على القلب المـذاب

لكل روح وثبت من سجنها   وتعالت عن جراثيم التراب
بالها جوهرة ما سطعت   بالسنا في تاج سلطان مجاب
وانطوى قلبي على حسرته   يتلوي تحت أنياب المصاب
يا له من نبأ كان على   مسمعي اعنف من طعن الحراب
مات (عبد الله) من كان له   مقول فَذًّا إذا قال اصاب
ويراع جمع الفن به   منطقي الحر الى فصل الخطاب
وفؤاد وسع الدنيا فما   ضاق إلا بالخطايا والكذاب
اين انت اليوم بالله اجب   ان يكن في وسعك اليوم جواب
قد عهدناك حكيماً صادقاً   طاهر المنطق عن مبن وعاب
هات حدثني عن الروح وما   حالها ان غادرت دنيا التراب
اهي في الجسم سجين فإذا   وثبت راق لها العيش وطاب
ما وراء الموت ما عالمه   انعم ام شقاء وعذاب
صف لنا الخلد وصف جناته   وصف النار واحوال العذاب
المعري لم تكن اوصافه   وهي حق بل خيال وارتياب
فإذا كنت سميعاً فأجب   آه يا ليتك تستطيع الجواب
آسفاً أبكيك بالشعر كما   يندب الشيخ ملذات الشباب
كنت عبد الله في عالمنا   بلبلاً بل كنت للشعر لباب
ترسل الشعر فتشجينا به   وتغنينا الأناشيد العذاب
يتلقاه بقلب ثابت   صادق العزم جري لا يهاب

انتهى ما وجدته في كتاب العلامة احمد زبارة وحياة مؤلفنا قصيرة وسعها ذكاؤه واقدامه وهو صاحب ريادة في تاريخنا الأدبي لا تجهل فهو أول من استفاد من المبهج العلمي الحديث لعله افاده في الأساس من قراءاته المتكررة لأدباء البلاد العربية المعاصرين له في مصر والشام والعراق وقد جرّب الكتابة في المجالات اليمنية لأول مرة في تاريخ الفكر الأدبي الحديث في اليمن وهو بهذا يستحق الريادة. وقد اثبت فيما كتبه ان ابناء

اليمن يستطيعون مجاراة الأدباء العرب في أساليبهم العصرية.

ومع أن الأيام لم تمهله كثيراً فقد باشر الكتابة في الحكمة قبيل وفاته بست سنوات، وكتب مؤلفه هذا الذي بين يديك في السنة التي مات فيها. إلا أنه أعطانا صورة واضحة عن منهجه العصري نستطيع أن نجزم بأنه فاتح هذا الباب في اليمن قبل ان تعرف البلاد الجامعات والمناهج العلمية الحديثة بعشرات السنين.

وكتابه الذي نقدمه الآن دليل قوي على ما نقول فهو وإن بناه على أسلوب الحوليات الذي عرفته كتب التراث التاريخية يمزج السرد بالتحليل العصري الدقيق، ويجعل الحوادث مدخلاً لنقده وتمحيصه، وكأني به وهو يكتب مؤلفه هذا وقد أحس بجدوى العمل الذي يقوم به وتجديده ينبهنا على ما أدركناه نحن ويقول في آخر فقرة من كتابه:

«هذا ما آثرنا تطريز هذا القسم الثاني به وهنا انتهى بنا القول على القسم الثاني من الكتاب وقد شمل كما رأيت جميع الحوادث والشؤن... وسنبدأ في القسم الثالث من كتابناهذا متوخين الطريقة التي سلكناها في القسمين اللذين فرغنا من العمل فيهما من الميل الى الإيجاز مع الإلمام بأطراف الحوادث ولبابها باذلين الجهد في حسن تنسيقها وربطها بوثاق الإئتلاف والإنسجام حريصين على سرد علل الحوادث وبيان آثارها واطوارها ليكون هذا الكتاب مؤدياً للحاجة التي ينشدها قراء التاريخ ويهواها رواد البحث ويجنح اليها ذوق العصر وأسلوب التاريخ الحديث».

فذوق العصر وأسلوب التاريخ الحديث هو ما نعنيه من منهج البحث العلمي ولم يكن كلام المؤلف دعوى بدون برهان فقد ايدته الشواهد العديدة التي حفل بها كتابه.

ويتجلى نفس المؤلف الثوري عندما يؤرخ للإنقلاب العثماني ويهلل فرحاً بانتصار الحق على إستبداد الحكام كما فرح به زملاؤه الأحرار واحتذوه

في ثورتهم التي جاءت بعد موت مؤلفنا بسنتين ونسمعه يقول:

«وما اطلت ايام رجب من هذا العام إلا والانباء تترى من وراء البحار بحوادث الاستانة وما جرى فيها وتلهج بذكر الانقلاب الخطير الذي شغل افكار العالم في شرق الأرض وغربها فقد نجحت مساعي رجال جمعية الاتحاد والترقي بعد فصول تاريخية طويلة واضطر السلطان عبد الحميد الى إعلان الحكم الدستوري مكرهاً ونزل على إرادة الأمة مرغماً.. وهذا كما تعلم إنقلاب له معناه وله آثاره فإن الحكومة العثمانية كانت مسخرة لإرادة الذات الشاهانية ولا راد لما قضت فلما حدث الإنقلاب التاريخي اقتضى ذلك قلب نظام الحكومة في أساليب الحكم وأضاع الحكومة الداخلية والخارجية والحربية والمالية والثقافية والإقتصادية وانتهاج سياسة جديدة».

ومع ان الكتاب ألفه في حياة الإمام يحيى فهو حينما يؤرخ يسند الأعمال في الغالب لأهل اليمن على خلاف العادة في مؤرخي ذلك الوقت ونجد عبارات تتردد في كلامه لا عهد لنا بها من قبل كالشعب والثورة والعروبة والوطن إلى غير ذلك.

ولما كان مؤلفنا أديباً قبل أن يكون مؤرخاً نجد المزاوجة بين الفنيين تتحلى من حين لآخر ونسمعه معبراً:

«وأضيف إلى هذه الإعتبارات ما تجريه الإدارة العثمانية في البلاد التي تسيطر عليها من أعمال العسف والجبروت وشدة النكالة بالرعية.. لذلك كان العمل في بث العصابات وتجهيز الأمراء واستنفار الذين وهبوا انفسهم واموالهم لهذه الدعوة وكان العمل متعدد الصور شتى الألوان مختلف الأساليب وكل ذلك يرجع إلى صورة واحدة وهي مطاردة العدو وإخافته وإنزال الضربات برجاله ومن يواليه في الطرق والمدن والقرى وفي الشعاب والجبال وفي البيوت والأدغال حرب وطنية املتها الظروف لأن الخصم عنيد ومزود بأسلحة فتاكة» إلى آخر تعبير مؤلفنا الأدبي.

وكذا نجده يمزج بين الأسلوب التاريخي المجرد وبين التحليل الناقد للأحوال والأحداث كباحث معاصر لأساليب البحث العلمي خذ مثالاً من ذلك قوله:

«وسنلم بالحديث إلماماً مقتضباً من كل ما جرى في الميادين التي ذكرنا وسنؤثر الإجمال لا التفصيل والإشارة لا التطويل ليتم لنا ما نرمي اليه من ربط الحوادث وتعليلها وبيان آثارها في أسلوب متسق وبيان مجتمع غير مفترق».

ومع ما اتسم به من حماس وطني في وصف التاريخ وثورات اهل اليمن على العثمانيين بحده ينصف الخصوم في مواطن انصافهم والثناء عليهم ويقول في بذل العثمانيين الجهد في حماية العاصمة وحراسة الأهالي إبان اشتداد ثورات المجاهدين.

«وقد قابل الأتراك هذه الحركات العسكرية الكبيرة برباطة جأش في صنعاء فصبروا وسهروا على حراسة الأبواب ومداخل العاصمة وعوراتها وبذلوا كل جهودهم في الدفاع عنها».

بقي علينا ان نشير أن المؤلف كتب تاريخه سنة ١٣٦٣ والبلد تشهد ضائقة اقتصادية والحرب العالمية تنذر بمستقبل قاتم فألف تاريخه من وضع غير صحي واغلب الظن احد اجزاء لجنة التاريخ التي تأسست سنة واضطلع بكتابة مراحلها نخبة من علماء اليمن ومثقفيها.

فكتب القسم الجاهلي العلامة الأديب عبد الوهاب.

والقسم الاول من صدر الإسلام حتى القرن الثالث المؤرخ اليمني المعروف محمد بن محمد زبارة.

والقسم الثاني من التاريخ من القرن الثالث حتى ظهور الدولة القاسمية

سنة ١٠٠٦ المفكر اليمني والمؤرخ الشهيد احمد بن احمد المطاع احد احرار اليمن الكبار.

والقسم الثالث من سنة ١٠٠٦ حتى سنة ١٣٠٧ هـ المؤرخ العلامة عبد الله بن عبد الكريم الجرافي ويوجد صحة ما كتبه في مكتبة جامع صنعاء.

والقسم الرابع لعله اضطلع به اثنان احد هما لا نعرفه والآخر هو مؤرخنا الأديب عبد الله بن محسن العزب وهو هذا الذي بين يديك وقد بدأ تاريخه من بعد معركة شهارة سنة ١٣٢٣ هـ حتى سنة ١٣٣٦ وفيه نبذة من حركة الإدريسي وقد قسمه الى ثلاثة اقسام:

القسم الأول من سنة ١٣٢٣ حتى صلح دعان سنة ١٣٢٩ هـ.

والقسم الثاني من سنة ١٣٢٩ حتى ١٣٣٦ وما فيها من احداث كبيرة وكان المؤلف ينوي ان يكتب القسم الثالث لما تلا هذه السنة من احداث ولم يمهله القدر فالذي بين ايدينا ينتهي عند حوادث السنة المذكورة والله اعلم.

والكتاب كله بخط مؤلفه الجميل المتناسق ويقع في ١٢٣ صفحة من القطع المتوسط.

وقد بذلنا جهداً في إخراج الكتاب ونسخه والتعليق عليه آملين أن يكون خدمة وطنية خالصة لوجه الله مفيدين للمتشوقين لتاريخ اليمن وامجاده العظيمة وبالله التوفيق.

عبد الله محمد الحبشي

(القسم الثاني من الكتاب)

انتهى القسم الأول من الكتاب بما هو من دقة والوثوق على نصوصها
وهذا ابدأ القول في القسم الثاني الذي يشمل حوادث الاعوام
اللاتي تلت عام ٣٩ الى ان انتهت الحرب العالمية الأولى وبانتهائها
انسحبت القوات التركية من اليمن ومن سائر بلاد العرب الى الأبد
وتسلم جلالة الامام جميع شؤون البلاد وانتقل الى صنعاء عاصمة
البلاد اليمنية ليدير دفة الشؤون الداخلية والخارجية ويواجه
الأمور من كثب ويصلح ما افسدته الحرب والمنازعات المتطاولة
في هذا القطر ونعود الى القول في الموضوع الذي نتحمل البيان .
لذ ونقول ان هدنة دعان تمت على الصفة التي اوضحناها
ثم وضعت موضع التنفيذ والعمل فهدأت الاحوال واطمأنت
النفوس واسند جلالة الامام اعمال القضاء في العاصمة وغيرها
الى علماء من رجاله فأخذوا يباشرون الأعمال وجلسوا على
كراسي القضاء يفصلون الخصومات ويحكمون في كل ما شجر بين
الناس من خلاف وساد الامر بالمعروف وحوربت المنكرات
وتوارى اصحاب الدعارة والبطالة واحاط بهم الرعب اذ ان
الشرع واقف لهم بالمرصاد يحاسبهم على جرائمهم وسيآتهم

احدى صفحات المخطوط

انتهت معركة شهارة[1] بفوز الأحرار المجاهدين بعد ان اشرأبّت إليها الأعناق، وأصاخت إلى انبائها الأسماع، وتراجع العدو صاغراً، ونكص على عقبيه خاسراً، وأسفرت المعركة التي علق عليها العثمانيون آمالهم، بما أدمى قلوبهم، وأوهن قواهم، وفَتّ في عضدهم، وانفسح الأمل أمام المجاهدين لإنقاذ وطنهم، واشتعلت فيهم عوامل الغيرة والحماسة، فاندفعوا يطهرون المواقع المجاورة لشهارة، ويطاردون الأعداء مطاردة متواصلة، واشتبك الفريقان في معارك خفيفة في سوق الثلوث[2] والجيازرة[3] وجبل شام[4] كان العدو يدبرها ليظفر بالسلامة في تراجعه وقد تكبدت القوات العثمانية في هذه المغامرة الجريئة خسائر فادحة وغنم المجاهدون غنائم ما كانت لتخطر لهم على بال، من أسلحة جديدة وامتعة ثمينة، ونقود كثيرة وبغال غير قليلة، وتتابعت كَرّات المجاهدين، حتى أنحاز القائد العثماني إلى بلاد السودة[5] مع فلول جيشه، وقد أصبحوا نهباً مقسّماً يحيط بهم

(١) حصن مشهورة في بلاد الأهنوم.
(٢) قرية على مسافة ثلاثة فراسخ من شهارة.
(٣) جبل في الأهنوم شمال صنعاء.
(٤) من تلك المواضع.
(٥) بالضم مدينة شهيرة بالشمال الغربي من عمران لمسافة ٤٤ ك. م (المقحفي: معجم المدن والقبائل اليمنية ص: ٢١٦).

الرعب، ويستولي عليهم الذّل، وتضيق بهم الديار وقد كان لهذا الانتصار الوطني رنّة فرح، وصوت سرور جلجل في زوايا القطر، وجاب سهوله ونجوده، وبعث العزائم في النفوس.

وتبليغاً لهذا النصر العظيم نشر من المقام الإمامي المتوكلي المنشور. الذي ننقله بنصّه، بلاغاً وذكرى لكل وطني غيور.

وهذا نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم، صدورها مبشّرة إلى كل بلاد، بما منّ به رب العباد، لما تقدم (فيضي)[1] على شهارة المحروسة بالله تعالى، هزمه الله هزيمة بعد هزيمة، حتى ما وقعت في محلّة، ولا نفعه جمعه الذي غالب به الرحمن، وأراد به للعرب الذل والهوان، وإلى الآن، وقد دارت عليه وعلى فريقين من رجاله الأنصار، وضويق في الأنجاد والأغوار، حتى ترك ثلاثة من المدافع التي جلبها لأضرار العرب، ومغالبة الرب، وقد بلغ أول هزيمته السودة على مسيرة مرحلتين من شهارة المحروسة والحرب تابعة إثره، وعليه دائرة، وقد قتل الله من رجاله ما فرشت به البقاع، وأنتن من جيفة قتلاهم القرى والضياع، وإستغنى الناس بالبنادق والذهب والفضة والبغال، وما تحمله من المونة والفراش والأثقال، وهبت ريح النصر للأنصار، وضربت العجم أينما توجهت في كل دار، حتى ما أنسوا بغير الفرار، ولم يستقر لهم في معقل مخيم ولا قرار، ومنهم طائفة في غربان[2] يصحبون علي رضا القرشي[3] قد تناولهم الحصار وخانتهم الأوطار وأخرى في الجراف[4]، انقضت عليهم طيور الأختطاف، وسوَّلت نفوس أربعمائة

(١) من اشهر ولاة العثمانيين في اليمن في العصر الأخير وصل الى اليمن سنة١٢٩٠ برتبة يوزباشي ثم تعين سنة ١٣٠٢ والياً على اليمن ثم عزل سنة ١٣٠٤ وتعين مرة اخرى سنة ١٣٠٩ ونكر ذلك عدة مرات.

(٢) غربان بلدة في حاشد.

(٣) احد قواد فيضي كان قتله في السنة المذكورة سنة ١٣٢٣ (انظر ائمة اليمن ق ٢ ص ٣٢).

(٤) قرية ملاصقة لصنعاء من جهة الشمال (المقحفي ص ٨٥).

منهم بالتقدم على السَّودة بعد وقعة أولى هنالك، فتقدموا فخمدت هنالك نارهم، فتقسّمهم أهل البلاد، كأنما سيقوا إلى النفاد والحصاد، ولم ينج منهم، ولا مما أجلبوا به حي ولا جماد، حتى لقد امتلأت البلاد أسرى، ودخل الرّعب قلوب العجم، وإليها سرى وفي الآن وأجناد الله محيطة بغيضي باشا، ومن معه في السودة، وبلادها احاطة النطاق، وقد دار عليه وعلى من معه أكثر من عشرة آلاف في العشايا والأشراق، وكأنما نشط الناس، من عقال الرّعب والإذلال إلى مرتع العز والجلال، فلنحمد الله الذي اذهب الحزن، وقمع بسيف سطوته رؤوس أهل الفتن، الذين أبطنوا للعرب، ما عنهم قد رَدّه الرحمن، وصرفهم عن الوصول إليه أكف الضراب والطعان، «حتى إذا أستيأس الرسل، وظنوا أنهم قد كذبوا، جاءهم نصرنا فنجى من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين(١)» انتهى(٢).

وأذيع منشورٌ آخر يشير إلى ما أنتهت به معركة شهارة، وإلى عظم الفوز الذي حقق الله به آمال المجاهدين، وكبت به الظالمين، وهذا نصّه:

بعد التسمية صدورها مبشرة إلى البلاد بما مَنّ به رب العباد، وفتح على ذوي الجهاد أن فيضي باشا لما تقمص الكبر وتردّاه، نكسّه الله على ام رأسه وأرداه، توجّه يريد شهارة المحروسة، حتى إذا نصب إليها مدافعه، ورمَى ورُمِي، انزل الله نصره، وثَبَّت الأقدام، فهزم جيشه، ورجع عن الإقدام، نهار السبت الخامس من شوال، وقتل منهم ذلك اليوم خمسة عشر ماية، قتيل، واستولى المجاهدون على البنادق، والآنية والمونة، ومدفعاً كاملاً، وبعضاً من آلة آخر، ثم أهبطهم الأنصار، من قرى ومراتب بقتل وأسر، إلى الثلوث(٣) على نحو ثلاثة فراسخ، وكان لهم رابطة في البَطِنية(٤)،

---

(١) الآية ١١٠ سورة يوسف.

(٢) ورد هذا المنشور بصفة اخرى في ائمة اليمن ق ٢ ص ٣٣.

(٣) يعني سوق التلوث السابق ذكره.

(٤) البطنة: عزله من ناحية القفلة من بلاد خمر (المقحفي ص ٥٣).

أحاطت بهم المقاومة والأنصار، وهم نحو مائتي أعجمي، فمنهم مر قتل، ومنهم من أسر، مع غنائم وفوائد، ورابطة أخرى، في جبل سيران[1] وكذلك، حتى اذا تكامل فهزمهم أتته المقادمة والأجناد بالهجوم، ففر فيضي ومن معه، وافلتوا مدفعهم الماوزر[2] وكثيراً من خيامهم، والمحافظين عليهم فقتلوا وأستولى المجاهدون على المحطة وما فيها، وبلغت أوائل هزيمتهم نجد حبور[3]، ثم شدت الأنصار على من في القرى التي بين النجد والثلوث، فأخرجوهم منها وأخذوا مدفعاً ثالثاً، وغنموا ما لا يحصى، وقتلوا العدد الكثير، وأحاطوا بحبور وما داناه واجتمع لحرب العجم من العرب (الشَّرْفان) و (حجور) و (بنو جديلة) و (بنو عرجلة) و (العذري) و (العصيمي) و (الصريمي) و (مهدي) و (حسيني) و (سفياني) و (أهنومي) و (سحاري) و(عمّار) و(خولاني) غير من كان بشهارة، وفيها الذين نصروا الدين، وذبوا عن اعراض المسلمين، مع ما مرَّ من أخذ حمولتهم من الدومة[4] التي اصلها تسعماية جمل، والإستيلاء على المحافظين عليها وهم نحو ثلاثمائة قتلاً وأسراً إلى ما قتل الله في السُّود قصدها (الصَّعر)[5] بعرب وعجم فاستقبله احد مقادمتنا في أربعين رجلاً فهزم الله العدو، فقتلوا فيه وسلبوا وأسروا وربما بلغ إليكم صنع (بني جبر) أنصارنا وقتلهم الفرقة الطالعة من (نِهم)[6] (في نقيل الملح)، حتى أخذوا ما معهم واستولوا عليهم فهذا الذي نبشر به أهل الشريعة ونأمرهم بالتحالف على الأتراك، من مكان إلى مكان ومن بلاد الى بلاد انتهى.

---

(١) سيران: من بلاد الأهنوم وهو الآن عزله من ناحية وقضاء شهارة.

(٢) نوع من المدافع واللفظة اجنبية.

(٣) حبور مدينة مشهورة من ناحية ظليمة (الحجري ص: ٢٢٧).

(٤) سوق الدومة من ناحية شهارة.

(٥) الصَّعر هو احد قواد الاتراك.

(٦) نهم: من قبائل بكيل وبلادهم في الشرق الشمالي من صنعاء على مسافة مسيرة يوم للراجل (الحجري ٧٤٦).

تلخيص حوادث ختام سنة ١٣٢٣ هـ .

أفاق الناس من سكرتهم وثاب الرشد إلى عقولهم بما أثّرته معركة شهارة، وتركته مثلاً لا ينسى، وعبرة لا تخفى، وشدّ ما كانت الخيبة والفشل في المقامات[1] العثمانية، فإنها كانت كل يوم تنشر للناس في صنعاء وغيرها أنباء تختلقها، وتحكم نسجها وتهوّل ما شاءت على الناس، منذ توجهت القوات الكبيرة تحت قيادة الوالي فيضي باشا، وكان الناس ينصتون إلى تلك الأنباء واجمين، ولا سيما ولم يكن هناك من الفريق الآخر ما يكذبها، ويفنّدها بل استمرت الدعاية العثمانية، تخترق أجواز القضاء، وتدعي أنها فرغت من مهمتها، وانتهت من واجبها، فإذا بالحوادث تتغير فجأة، وإذا بالآمال تنزوي وتنقبض، وإذا بالشّعب يجهر في غير خوف ولا فشل، إن القيادة العثمانية هزمت، وتكبدت خسائر فادحة، وفقدت أكثر رجالها، وإذا بالقائد الأعلى فيضي باشا ينهزم مهرولاً، لا يلوي على شيء، فيسمع الناس عنه أنه أمعن في الفرار، والتراجع، حتى انتهى الى (خِمر)[2]، ثم لم يلبث أن تحول إلى (عَمران)[3]، وفيها اعتزم الراحة والسكون ريثما تتجمع الفلول، ويستعيد شيئاً من الراحة والهدوء، بعد ما قاساه من أهوال، وعاناه من متاعب، وما تلطّخ به من عار، وآب به من خزي، بعد أن خسر قوته، وأضاع مهابته.

وقد كان من آثار هذه الهزيمة، تمرد كثير من الجهات الخاضعة للسلطة العثمانية، عن تسليم الضّرائب الحكومية، وعن الإنقياد والإستسلام لما تفرضه تلك السلطة، وكثر المتطوّعون في الجهاد، ونشطت العصابات للحروب المحلية، وأحدق الخوف بالسلطات العثمانية، في القسم الأعلى

---

(١) جمع قائم مقام من رتبهم العسكرية.

(٢) من المدن المشهورة من حاشد.

(٣) عمران: مدينة مشهورة من همدان شمالي صنعاء.

من اليمن جميعه، واخذت القيادة العثمانية، تجّد في ضم القوات المتبعثرة، وجمع شتيتها، ونقلت قوات من الجهات الجنوبية والغربية، إلى صنعاءوالى عمران لفداحة الخسارة التي أصابتهم، منذ ابتدأت معركة شهارة، إلى أن استقر فيضي في عمران، وكانت القوات العثمانية لا تتراجع إلّا بين هول المعارك، وصليل السيوف في القرى والسهول والأودية والجبال، حتى تناثرت الأشلاءوالجثث على طول الطريق، وتعذر المرور، لشدة النتن.

وقد كان في مبادي زحف القوات العثمانية على شهارة، تفكير بعض الزعماء، في شأن القاسمي الداعي[1] في بلاد الشام، ورأوا أن من الحزم، إعادة التفاهم معه وحسم الخلاف، لتتفرغ الجهود لدفاع الأعداء المغيرين على البلاد، وأملاً في توحيد الصفوف، وتسوية العلاقات، فكتبوا إلى القاسمي إنا رأينا تحكيم أربعة من خيرة العلماء أولي الحزم، وما قرروه وأجمعوا عليه يكون اتّباعه، والإنقياد له، فأعلن القاسمي موافقته، ثم عرض هذه الإقتراح على الإمام، فقال: ذلك ما كنا نبغي، وسارع إلى الوفاق، ولما علم القاسمي أن رجال التحكيم قد استعدوا للنظر في الخلاف، سارع فأعلن انه لن يرضى بحكم احد، وإن زعامة لا يمكن ان تقبل التحكيم، ورأى قبائل خولان[2] وجماعة[3] وسحار[4]، وغيرها سامعة له مطيعة، فانخدع بما سوّلته نفسه، وأصرَّ على الشقاق ومجاذبة الحبل فكان هذا أعظم عامل للإمام في التفكير الجدي للقضاء عليه، وبعد انتهاء معركة شهارة أخذ الإمام في وضع الخطط، وإعداد العدد، لمنازلة القاسمي وإرجاع بلاد الشام الى

---

(١) هو الداعي حسن بن يحيى القاسمي ولد بهجرة ضحان سنة ١٢٨٠ ومرت له خطوب مع الامام يحيى وردت في كتابنا هذا وغيره توفي سنة ١٣٤٣ (نزهة النظر ص: ٢٤١).

(٢) خولان: من صعدة ومنها يتفرع القبائل الآتية وهم خولان بن عامر بن الحاف.

(٣) من خولان. (٤) من خولان.

حظيرة الطاعة، وموقف الجماعة، وهذه خطوة وطنية كبرى لأن بقاء هذه الأقطار في العناد والخلاف يدعو الى القلق، لأنها واقعة خلف مراكز حركات الدفاع اللأتي يديرها جلالة الإمام ضد الأتراك العثمانيين.

وما أطل شهر ذي الحجة الحرام إلاَّ وطلائع القوات الإمامية قد وصلت (ساقين)[1] وهي من أهم المراكز في بلاد الشام، وأخذت تناوش القبائل الشامية مناوشة حامية، وفي (الكَرَب)[2] كانت معركة اشتبك فيها الفريقان عدة أيام، واستطاع القاسمي لقربه ان يجمع جيوشاً جرَّارة من الموالين له، ولكن القوات الأمامية استطاعت مواصلة الثبات والكفاح بجهود عظمى، ووافاهم المدد من (حجور[3] وبكيل)[4] تحت رياسة الشَّرقي[5]، فكان هذا الثبات سبباً لانقياد كثير من القبائل، ورجوعهم الى رأي الجماعة، وفي أثناء هذه المناوشات العنيفة، إنقادت (الكَرَب) وكثير من سحار، وشعر القاسمي بحرج موقفه، ولكنه مصر على عناده، على رغم التنازل الذي تنازل له الإمام، فقد ضمن له بقاء زعامته، وتوفير مادته، وتدعيم نفوذه في الجهات الموالية له، إن هو فاء إلى الوفاق، وانخرط في سلك الجماعة، وكل هذه الجهود ذهبت هباءً وشاء الله ان تكون الكلمة الفاصلة هي كلمة القوّة، وصوت القوة هو المسموع، منذ عرف التاريخ وفي كل زمن ومكان.

وقد كان من دواعي البشر والابتهاج أن الإمام زار شهارة، ذاك المعقل الذي يستحق كل إعجاب وتقدير، فوافى إليه في شهر ذي القعدة، وطاف

---

(١) ساقين مدينة من حولان بن عمرو وبلاد صعدة.

(٢) مدينة وقبيلة تابعة لساقين.

(٣) بلد من سراة قدم حجة (المقحفي ص ١١٠).

(٤) قبيلة مشهورة من همدان «تسع منطقتها الى عدة نواح».

(٥) هو العلامة محمد بن سعد الشرقي ولد في محرم سنة ١٢٨٢ وتولى عدة مناصب وكان ورعاً زاهداً اوصى بكل ما خلفه لبيت المال توفي سنة ١٣٥٢.

ربـوعه وجـوانبه، وألقى عليـه نظرات فـاحصة، وأصلح، مـا دَمْرته معـارك الحرب الطاحنـة، وقوّى حـامياتـه، واجتمع في شهـارة من الأعيان والعلمـاء والزعماء جم غفير، وتلاقت فيهـا القلوب مبتهجة بمـا أولاها الله من نصـر، وما منحها من تـأييد، ولمـا رجع الإمـام إلى (القفلة) مستقرة تـوافدت عليـه الوفود، وأمته الجموع، وانثالت عليه الجماعات، من كـل صوب، وقـد رأى بعض الزعماء مـواصلة الهجوم والـطراد، ومضايقـة القوات العثمـانية، ولكن الإمـام رأى أن من الحزم التـريّث والتأني، ومـواصلة الجهـود للقضـاء على حركات أهل الشام[1].

على انه قد حدثت حوادث في خلال هذه الشهور الثلاثة، منها معارك دامية حدثت في (آنس) في القسم الجنوبي الغربي من البلاد، فقد اشتبكت في هــذه الجهات طـوائف من القـوات العثمــانيـة، مــع جمـاعــات من المجـاهـدين، تحت ريــاسـة الشيــخ علي المقـداد[2] والسيــد اسمـاعيــل المروني[3]، وكلاهما من رجال الوطنية الصادقة والولاء العظيم.

وانتهت هذه المعارك بفوز المجاهدين فوزاً بيناً، في (بيت الذيباني) و (بيت عيسى) ومخـلاف ابن حاتم، ووصـل المجاهـدون إلى وادي الجـار[4] بالقرب من صنعاء بعد أن أنزلوا بالقوات العثمـانية ضـربات قـاصمة، ونقلت رؤوس القتلى إلى وعـلان[5]، وعادت القـوات العثمانيـة متراجعـة إلى ذمار، وقسم منها إلى صنعاء.

---

(١) يعني اهل صعدة الجهة الشمالية.

(٢) هو الشيخ علي بن المقدادي راجع الآنسي توفي سنة ١٣٣٩.

(٣) هو العلامة والمؤرخ اسماعيل بن اسماعيل بن يحيى المروني ولد بهجرة المرون سنة ١٢٩٣ وكان من الفرسان الشجعان انيطت به عدة اعمال وتوفي سنة ١٣٦٦.

(٤) من ناحية بلاد الروس احدى نواحي صنعاء (المقحفي ص ٧٧).

(٥) بلدة جنوبي صنعاء لمسافة ٣٢ ك م وهي من بلاد الروس (المقحفي ص ٤٦٦).

وانطوت صحيفة هذا العام عام ١٣٢٣ هـ، بعد أن سالت فيه الدماء انهاراً، وحدثت فيه أروع الأحداث وأنكاها، وتقلبت الأيام فيه تباعاً، وحصدت الحروب والمجاعات، والوباء عدداً لا يحصى، ولم يستقر في نهايته حال، ويلي هذا حوادث سنة ١٣٢٤ هـ.

(سنة ١٣٢٤ هـ وحوادثها)

رأيت في العام الذي فرغنا من تلخيص حوادثه الجسام، وخطوبه العظام، أنه ارتحل وقَوّض خيامه بين الأسى والحسرة، وبين الدماء والدموع وبين الدمار والخراب، وحالة البلاد تدعو إلى الحزن العميق من جميع جهاتها، فالقوات العثمانية، ما تزال رابضة قابضة على القسم الجنوبي من الشّعب، وعلى القسم الغربي جميعه، وهذان القسمان هما موطن الثروة ومنابع الثمرات الغزيرة، والخصب النامي.

وكل يوم وللقوات العثمانية هدف، يرمونه، وقصد يتجّهون إليه، ولهم من أبناء البلاد أشياع وأتباع وخَونة وأنصار.

والقاسمي وقبائل الشام، قد ركبوا قرونهم، ولذّ لهم خذلان وطنهم، والحاجة في البلاد ملحة، والمجاعات قد فتكت فأمعنت، وليس في البلاد غير بصيص نور يشع من مقر الإمام ورجاله المخلصين، في بقعة في الجهة الشمالية بعيدة عن أكثر القبائل، قليلة الخصب والمواصلة، محفوفة بالمصاعب، ولكن هذا النور الذي ينبثق بقوة، فتنظر إليه العيون، وتتطاول إليه الأعناق، هو نور الحقّ والوطنية، والإسلام والعروبة، فلا غرو إذا استطال وانتشر، وقاوم ظلمات الباطل والعدوان والضلال، والعناصر الغريبة.

طلع هلال العام الجديد وهذه الطائفة التي أخذت على عاتقها إنقاذ الوطن، ورفع راية العدل ونصرة الحق، مواصلة لأعمالها مستمرة في

جهادها، دائبة في مساعيها بقلوب يغمرهـا الإيمان والعقيـدة الراسخـة إنه لا بد من ظهور الحق وإن كـره المبطلون، وقـد كان فـاتحة أعمـال هذا العـام إرسال الشيخ علي بن عبد الله المقداد مـع ثلاثـة من رؤوساء (بني جَبـرة)[1] من خولان الجنوبيـة لينظم حـرب العصابـات في أطراف الحـدا[2] وجهران[3] وآنس[4] والأعروش[5] من خولان وفي أطراف عنس والمغرب.

وبعد مغادرته للمقام الإمامي، ترامت الأنباء أن جماعة من المجاهدين تحت ريـاسة الشيـخ عبد الله بن محسن راجـح في عنس اشتبكت مع قـوة كبيرة عثمانية، واستمرت المعركة ثمانية أيام، انهزم في نهـايتها المجـاهدون لقلتهم، وبعدهم عن المدد، وتفوّق العدو عليهم، ولما تطايرت الأخبار بـأن المقـداد ينظم الصفـوف، لحرب شعـواء سارعت القيـادة العثمانيـة بـإرسـال الجنود إلى (معبر)[6] وأقاموا المخـافر على طـول الطريق بين صنعـاء وذمار، وتمكنوا من إعداد قـوّة كبيرة، ولمـا تبين لهـم ان المقداد في (زراجـة)[7] بلد الحدا ومعه من المجاهدين عصـابة، وكـان كثير من البـدو، قد تخلّفـوا عنه وتفـرقوا عن مـركزه، كـان من القيادة العثمـانيـة احكـام خـطة الهجـوم على (زراجـة)، وفيها اشتبـك الفريقـان في معركـة تاريخيـة مهيلة ، فقـد داهمت القوات العثمانيـة رجال الإمـام ولكنهـم لم يجدوا إلاّ بسـالة واستمـاتة، حتى

---

(١) عزلة من ناحية مغـرب غس واعمال ذمـار (المقحفي ص ٧٩) والمعنيـة هنـا من قبائـل خولان العالية تمتد مساكنها من اسفل نقيـل شجاع الى بـلاد خولان في جهـة الجنوب والى اسفـل اشراف مارب بالشرق (المقحفي ص ٧٩).

(٢) قبيلة مشهورة في الشمال الشرقي من ذمار بمسافـة ٣١ ك. م (السابق ص ١١١).

(٣) ويعرف بحقل جهران ارض واسعة من اعمال ذمار (السابق ١٢٥).

(٤) قضاء واسع من اعمال ذمار.

(٥) قبيلة من خولان الـطيـال.

(٦) مدينة بالجنوب من صنعاء مسافة ٦٨ ك. م تقع في وسط قاع جهران.

(٧) مركز ناحية الحـدا على مسافة يومين جنوباً الى الشرق من صنعاء.

تهدمت البيوت، وخرج المجاهـدون من تحت الانقاض المتهـدمة بعـد صبر وثبات لا يتحلى به، إلّا المخلصون.

وفي اثناء الليل انسحب المجاهدون من (زراجـة) وقد صـارت أطلالاً بعد خسارة تحمّلوهـا، ولكن الأعداء سلمـوا الثمن غاليـاً، فقد أصيب منهم عـدد كبير بـالقتل، وأسـرع المجاهـدون إلى بـلاد الـروس ثم الى اليمـانيـة العليا.

وكانت هذه المعركة في شهر صفر من هذا العام.

وفي هذا الشهر انتقـل الإمام إلى (الـمّـدان) لتأديب الـذين تمالؤا على حاكم الشريعة هناك واستخفوا به.

وفي ربيع الأول عاد الإمام إلى (القفلة).

وفيـه أن قـوة عثمـانيـة وصلت الى جبـل (نيسـا)[١] وقــوة اتجهت الى الأشمور[٢].

وفيه اشتبكت قوة عثمانية مسلحة مع رجـال المقداد في خـولان واشتد العراك فيها وخسرت القوات العثمانية رجالاً وسلاحاً في هذه المعركة، وكـان من أبـطال المجـاهـدين فيهـا السيـد عبـاس بن علي بن إسحــاق[٣] والسيـد إسماعيل المروني.

وفيـه أتى إلى الإمام السيـد احمد بن إبـراهيم الهاشمي[٤]، من أعيـان

---

(١) نيسا: عزلة من ناحية المغربة من اعمال حجة (المقحفي ص٤٤٢).
(٢) الأشمور: جبل مشهور بالغرب من مدينة عمران بمسافة ٢٢ ك. م (السابق ص ٢٥).
(٣) هو العلامة عباس بن علي بن احمد اسحق ولد بالجراف سنة ١٣٠٢ واخذ عن جمـاعة من علماء عصره وتولى اعمال جهات خولان الـطيـال وشارك في حرب الاتراك توفي سنة ١٣٦٥.
(٤) هو العلامة احمد بن الاصبح بن احمد الهـاشمي ولد بـرحيان من صعـدة سنة ١٢٦٠ ونشـأ بصعدة وكان من اعيان عصره توفي سنة ١٣٤٢.

صورة وعلمائها، في وفد يحملون إلى الإمام نبأ عقد هدنة عقدوها مع القاسمي إلى شهر رمضان، وعادت الجيوش، وقوادها إلى مقر الإمام.

وفي جمادي الأولى أغارت قوات عثمانية كبيرة على البون والصَّيَد وغيرهما من بلاد حاشد الواقعة بقرب عمران، وعاثوا وسلبوا أموالاً طائلة.

والقوة المرابطة في نيسا أغارت على ما بجوارها وارتكبت أعمال النهب والتخريب.

وفي آخر هذا الشهر، وصل وفد من الحجاز تحت رياسة الشريف حمزة بن عبد الله، ومعه الشيخ العالم عبد الرحمن الياس المدرس بالمدينة المنورة على ساكنها افضل الصلاة والسَّلام، ومع هذا الوفد رسالة، من الشريف علي بن عبد الله الحسني[1]، وروح الرسالة الحث على موالاة الدولة العثمانية، والإسراع إلى عقد صلح معها، وأفاض كاتب الرسالة في قصده هذا، إفاضة طويلة، وبعد أن استراح الوفد، واستعاد نشاطه، تسلّم رسالة الرَّد على ما جاء به، بعد أن لقي من الحفاوة والإكرام ما ليس بعده غاية، وقد كان الرّد منطوياً على ما أشرنا إليه سابقاً، وصرحت به كتب الإمام إلى السلطان العثماني وغيره، من أن فساد ولاة الدولة العثمانية في اليمن وإرهاقهم للرعية، واستخفافهم بسلطان الدين، وولوعهم بالجور، ومجاهرتهم بالمنكرات، هو الباعث على مناصبتهم، وتقليم أظفارهم، وإنه ليس من الرأي ولا من العقل، ترك الأمة مذبوحةً، تحت أقدام الغريب الواغل، وأن الدين يأمر بالنهي عن المنكر، والأمر الذي لانزاع فيه أن اولئك الولاة هم سبب هذه الفتن، يثيرونها ويدبرون أمرها، فالتّبعة عليهم، واللوم على من يؤيدهم الى ما شرحناه سابقاً.

---

(١) هو الشريف علي باشا بن عبدالله بن محمد بن عبد المعين من اشراف مكة وليها سنة ١٣٢٣ وعزل سنة ١٣٢٦ فانتقل الى مصر وتوفي بها سنة ١٣٦٠ (الاعلام ج ٤ ص ٣٠٩).

وفي أوائل هذا العام نشر من المقام الإمامي منشور الى جميع جهات الشعب وهذا نصّه:

بعد التسمية، ان من انتصح وعرف نفسه وألزمها الكف عن أضرار المسلمين وعن تقريب ما بعد عن الظالمين، وأن لا يترك نصيحة لله، ولا يكتم عنا شيئاً مما أسر إليه العجم به أو أذاعوه، وعلمه وما علمناه، مما يترقّبونه أو يعزمون عليه، ولن لا يعترض قباضنا، ولا يدّل عليهم ولا يسعى لهم بإخافة سِّراً ولا جهراً ولا يعاقب من أوصل واجباته إلى الإمام، ولا يتناوله بمكروه، ولا يجمل دين الله إلاّ في سبيل ما به أمر الله، وتكون مصاحبته للعجم عليهم لا لهم، وباطنه معنا وظاهره معهم، فلأجل التمسك بهذه الخلال، من غير حدث، فليكن واثقاً منّا بأنّا لا نواجهه بشيء يكرهه فليعلم هذا انتهى.

وفي هذه الآونة، وصل خطاب من محسن بن عبد الله بن الحسين الرَّصاص اليماتي من مصر إلى الإمام يقول فيه: أنه خرج من وادي اليمانية[1] سنة ١٢٩١ هـ قاصداً الأستانة، فكتب الله له الإقامة بمصر، وأنه وقف نفسه وقلمه ومحبرته لخدمة بلاده، واستأذن من الإمام دوام المراسلات بواسطة دولة إيطاليا التي وصفها بقوله إنها أقرب دولة متحببة إلى الإسلام والمسلمين، وبقوله الغيورة على الإنسانية التي نصبت للتأليف بين العالم الإنساني رجالاً صادقين، كما تشهد لهم رسائلهم، وعدَّد هذا الكاتب طرفاً من متن هذه الدولة التي رآها في نظره خدمة للإسلام والإنسانية، إلى أن قال باللفظ:

(وقد خاطبت قنصلها بالحديدة أن يعتني بكل خدمة تختص بنا وبكم من مراسلات وخلافها ولا يخفى دولة الإمام أن كل دولة تقع مع أخرى في

(١) اليمانية: عزلتان من خولان الطيال بالجنوب الشرقي من صنعاء (المقحفي ص ٤٧٧).

إشكال وحروب، فأمهرهن سياسةً التي تتحبَّب إلى صديقة لها لتشوش أفكار عدوتها، وبهذه الوسيلة تظهر عليها، فماذا علينا يا مولاي لو خاطبنا ملك إيطاليا بواسطة سفيره في مصر في قبول الحماية لبلاد حاشد وما جاورها، حيث انها لم تكن تحت سلطة الدولة العثمانية على شروط مختومة بختم المملكة، يكون مبناها الإكتفاء بقبول دخول تجارتها بلاد اليمن، والبحث عن المعادن، وتحليلها بواسطة وفد كيماوي، من علمائها، على مصاريفها، وللحكومة اليمنية جزء بعد حساب المصارف.

إلى أن قال: ولا يخفى مولاي حسن مجاورة ومعاملة دولة إيطاليا مع أهالي مصوّع[1] والصومال وتقرير زعمائهم واحترامهم الشريعة، ومرحمتهم وعطفهم، فنحن على ثقة تامة ان هذه الدولة تكون نصيرة لدولتكم، دون مطامع في البلاد، لأن الذي قَوَّى عزمنا على هذا رجل من خلاصة المسلمين يدعى محمد علي بيك علوي المترجم الأوّل في السّفارة بمصر، وهذا الرجل من الغيورين على الإسلام والمسلمين).

هذا لفظ هذا الخطاب والتمس كاتبه في آخره إبلاغ سلامه إلى السيد يحيى واحمد الكبسي وأنجاله.

وهذا الكتاب السياسي المملوء سمًّاً ومكراً وخداعاً، قوبل برد من الإمام مطول، فيه بيان ما تأتيه السلطة العثمانية من جور ونكر وظلم وإرهاق، وأن هذا هو السّبب في استمرار المعارك والخطوب، وإن سلطان الإسلام لا يعلم ما يجري من ولاته في اليمن، وأن مما ترغب إليه النفوس عقد صلح يبرم مع الدولة العثمانية إلى أن أتى في الجواب الإمامي ما لفظه (وإنه إذا سكنت الحروب، ووقفت الخطوب، أمكن تأمين الطرقات وفتح أبواب التّجارات وإستنار أهل القطر بنور المعارف، فانتفعوا وانتفع منهم

---

(١) مصوع: مدينة بارتريا وميناء على البحر الأحمر (الموسوعة العربية الميسرة ص ١٧١٠).

أهل المهارة والدرايات في جميع الممالك، وسّد بهذا باب كبير من الخسارات والمهالك، هذا ما جاء في الرد الإمامي وأنت ترى ما فعلت لك باللفظ مما يدل على بعد نظر وكياسة دقيقة وحكمة رصينة وكيف قوبلت تلك المقترحات الأشجة الواردة في كتاب الرصاص بالإلغاء والإعراض والطرد، وكيف دعاه إلى أن الأولى التفاهم مع الدولة العثمانية المسلمة، لتضع حَدَّاً للفتن والقلاقل، وأن لا حاجة إلى شيء اكثر من هذا.

وبهذا المعنى كان الجواب على محمد علي بيك مترجم دار السفارة الأيطالية بمصر، وفي هذا بلاغ لقوم يعقلون.

ولم يحدث في هذا العام حادث يستحق أن يسطر، غير ما ذكرنا، سوى المحاولة التي بذلها بعض الزعماء لوضع أساس لصلح يعقد بين الإمام والسلطة العثمانية، فقد خرج معاون الوالي العثماني بصنعاء (محمود نديم) وبرفقته السيدان الكبيران قاسم بن حسن العربي(١) وعبد الله بن علي عبد القادر(٢) واتجهوا إلى (ريدة) من البون حيث قابلهم من طرف الإمام ثلاثة من الضّخام الأعلام، سيف الإسلام محمد بن الهادي، وعبد الله بن ابراهيم(٣) واحمد بن يحيى عامر(٤) من علية السّادات النّبلاء، ولم تَتَوفَّق الجهود لتمام المقصود، وكان هذا في شعبان من هذا العام.

وإذ قد لخصنا لك أيّها القارىء الحوادث الحربية، وأشرنا إلى مجمل الحالة السياسية، في هذه الظروف، والآن نتحفك بتحفة فنّية طريفة، قطعة من الشعر الرَّصين الجزل من إنشاء القاضي الأديب حسين بن احمد

---

(١) من العلماء الافاضل ولد سنة ١٢٩١ وتولى مناصب كثيرة وتوفي سنة ١٣٨٠.

(٢) ولد بصنعاء سنة ١٢٨٢ واحد من علماء عصره وتولى مناصب الدولة العثمانية وكانت وفاته سنة ١٣٥١.

(٣) ولد بصنعاء سنة ١٢٧٨ وكان اديباً مهماً جمع بين الرئاسة والدراسة توفي سنة ١٣٤٩.

(٤) ولد بجبل الأهنوم سنة ١٢٨٢ واخذ عن علماء عصره وكان مكثراً من الطاعة وتولى عدة مناصب توفي سنة ١٣٢١.

العرشي[1] قدمها لجلالة الإمام عند زيارته لشهارة وهي آية في الإبداع ودرّة من درر البيان قال رحمه الله :[2]

عن البدو إذا ما أنت تروي وتنسب ... أعِده فما أحلاه لفظاً[3] وأعذب
وحُييت أي الربع جاورت مرّةً[4] ... مشبرقه ام ذو القباب المغرب
وهل أبصرت عيناك إذ أنت عندهم ... مهاها اللواتي دونها الوصل يحجب
بصرواح[5] اوبيحان[6] اونهج مادب ... مهابط ما شاد الكلاع[7] ويحصب[8]
منازل فيها للضيوف منا زل ... تعدّ وفيها مرحبُ وتأهّب
بها غادة الغيد التي الرّوح عندها ... يباع ويسبي كل حين وينهب
هداني إليها العشق قبلاً ودلّني ... عليها غرامي والخباء المطنّب
فطفت حواليه وحولي وحولها ... رجال لها في موكب الحزم تركب[9]
أغيّر شَعري حين ادنو مسلّماً ... عليهم وادعو بالبياض فأخضب
أغالطهم بالشّيب كي لا يلومها ... على القرب مني ذو إخاءٍ ولا أب
مهاة أطاع العشق نفسي ونفسها ... كلانا له فيه مقام ومنصب
أخاطبها باللّحن وهو خطابتي ... إليها فتدري ما به اللّحن يعرب
على انني لو بحت بالأمر لم أجد ... بعاداً ولكن صاحب الحب يرعب
وشخص من البلّوى يشفي صبابة ... فؤاد الذي ما كان من قبل يشرب

---

(١) اوردها ايضاً المؤرخ زبارة في ائمة اليمن ق ٢ ص ١٠١ .
(٢) زبارة: عندي.
(٣) زبارة: جاوز به ضحى.
(٤) صرواح: مدينة تاريخية قديمة معروفة.
(٥) بلدة من الجهة الجنوبية من البيضاء وفي جهة الشرق من حضرموت.
(٦) بلدة مشهورة شرقي صنعاء على مسافة اربع مراحل للمجد وبها سد مأرب (الحجري ٦٢).
(٧) الاسم القديم لما سمي اليوم بالعدني ويدخل في الكلاع ناحية حبيش وذي السفال والسحول وغيره (المقحفي ص ٣٤٩).
(٨) من سمارة الى الكلاع (نفسه ٤٧٠).
(٩) زبارة: مركب.

وغصن إذا قايسته في اعتداله ... على قدر غصن البانِ فالبان أحدب
هي الصبح وجه الصبح معنى لوجهها ... ولكن شعر الفرع ليل وغيهب
تعلقتها مذ كنت جفراً[1] ويافعاً[2] ... فمن اين لي من بعد ما شخت مهرب
وبَّرأتها من لوم من كان عاذلاً ... يتم عليها بالجفاء ويكذب
اراك ترى أني تسورت حائطاً ... عليها وأني في الذي قلت مذنب
وتحسبني شبَّبت في ذات برقع ... أبى الله لي هذا وعقل مجرب
ونفسي التي لا تقبل اللّوم عرضها ... أعَفُّ وأولى بالعفاف وأنجب
كنيت بذا عن شيمة العرب انها ... هي الغيد والوجه الجميل المحبَّب
وعن منصب الحق الذي كنت ردته ... ومن دونه بيد هناك وسبسب[3]
وبالعشق حَبَّيها على كل حالةٍ ... وحبّي لمن يدنو إليها ويقرب
إلى عامر الدين الذي بات باقياً ... له والذي لولاه قد كاد يخرب
إلى الناشر الإيمان في كل بلدةٍ ... ومظهره والنَّاس تلهو وتلعب
إلى ذي يدٍ كَفَّت بكفٍ اعتصامها ... مظالم فيها امة العجم ترسب
رماهم بها جرداً عتاقاً كأنَّها ... كواسر عقبان تجيء وتذهب
وأرسلها شعثاً غضاباً مشيحة ... تصيد الذي مرت عليه وتسلب
وأرخى لها بعض العنان فأصبحت ... توام الوغا ما عاقها عنه موكب
أحاطت على صنعا أزال ولم تزل ... تدك الصَّياصي[4] والجبال وتركب
فألقت أزال الخير ما جن جوفها ... من العجم وانحط الضلال المركَّب
وغطَّا على الأروام ثوب أمانِ ... فكان لهم فيه هناك تقلّب
ولما عتى العاتي وكان الذي مضى ... مضى وهو كالليث الهزبري مغضب
له ناب ليث فهو يدريه قاطعاً ... منى كل غي حين يلوي ومخلب

---

(١) الجفر ولد الشاة ابن صغير كولد الشاة.
(٢) يافع : غلام يافع ترعرع وناهز البلوغ.
(٣) السَّبسب: المغازة.
(٤) الصياصي : القلاع.

وأمَّت بغـاة العجم حصن شهـارة … ومـن دونـه حـفظ مـن الله يـغـلـب
فمـا رجعـوا إلاَّ عـلى متنِ شـرّ … لهم فيه بـاب خلفـه الغر مشعب
شهـارة ذات الفخـر والمجـد والتي … لها المثل الأبهى الذي كان[1] يضرب
سمـاء بنـاهـا الله من صخـرة رست … على منبت بـالعـز والفخـر مشّرب
إذا أوقـدت فيهـا المصـابيـح ليلةً … ففي كـل برج حين أبصـرت كوكب
وسقف يحاك النجم يحوي معـارجاً … على كـل معـراج حروس ونُـوَّب
كـأن سنـاميهـا الأميـري وفـائشـاً[2] … سنـا مـا بعيـرين لـذا ذاك يعقب
يـطوقـهـا حـزم وعـزم وشـاهق … وآسـاد حـرب والحـديـد المـذرّب
لأحجـارهـا مـا للسيـوف مبيـدة … تقـدّ وتفـري وهي تـرمى وتـقلب
عمـرت بهـا الأبـراج وهي حصينـة … وزدت بهـا نقبـاً من الصخـر يثقب
تروساً[3] ترد (الطوب)[4] عمـا يريـده … فمـا بـرقـه إلاّ كمـا قيـل خلّب
واسقيتهـا ماء الحيـاة فـلم تكن … لذي ريبة منها سوى الموت مشرب
خلعت عليهـا حلة المجد فـاغتدت … تتيـه بهـا فـوق الجبـال وتعجب
وطيَّـتهـا بـالـعـز وهي جـديـرة … بـه والمحـل المثمـر العـزَّ طيب
ومـا أنـت إلاّ الألـمـعي وانـنـي … أعيـذك بـالـرحمن تـزري وتعتب
فـأني لقـد انفقت ممـا مـلكتـه … وذلـك فيمـا يقـدر المرء ينـدب
فـغطّ على عـيبي بستـر فـانمـا … يغطي على العيب الكريمُ المـودَّب
ولي أدبٌ فـالبعض ابـديـه تـارةً … وبعض تـوالٍ فهـو سرٌّ[1] مـغيـب
عليـك سـلام الله مـا لاح بـارق … وما أمطرت من بارق الصيف اسحب

انتهت[5] ويلي هذا القول في ماجدٌ من الحوادث العظام.

---

(١) زبارة: بات.

(٢) اشارة الى شهارة الأمير نسبة الى الامير ذي الشرفين والى شهارة الغيش وهي قلعة مساوية لشهارة الأمير.

(٣) جمع ترس وهي الدرقة التي تصد السهام.

(٤) الطوب: المدفع باللغة التركية.

(٥) قلبت: هـذه القصيدة من الشِعـر الحماسي الـذي يقال لاذكـاء همم المجاهـدين في مناجـزة=

«أحوال اليمن في خمس سنوات من شوال سنة ١٣٢٤ هـ الى شوال سنة ١٣٢٩ هـ»

الكلام على حوادث هذه الأعوام الخمسة يقع في ثلاثة فصول:

الأول في إنفاذ الأمراء وبث السرايا وتجهيز العصابات لمضايقة القوات العثمانية في كل مكان تسمح الظروف بالعمل فيه والمقاومة بين أهله، ويشمل هذا جميع ما حدث من شوال سنة ١٣٢٤ هـ الى ختام سنة ١٣٢٦ هـ بعد إعلان الدستور العثماني، وإرسال الإمام وفداً إلى الأستانة.

الثاني: في أحوال سنة ١٣٢٧ هـ وسنة ١٩٢٨ هـ وما طرأ على الحالة من سكون وهدوء زمن ولاية تحسين باشا الثالث في حوادث سنة ١٣٢٩ هـ وغاراتها وحروبها وتنتهي بعقد صلح (دعّان) في شوال سنة ١٣٢٩ هـ، وبهذا الصلح وضع الفريقان السلاح وتصافحا للسّلام وحل الوئام محل الخصام وبهذه الفصول الثلاثة ينتهي القسم الأول من مؤلفنا هذا كما أشرنا إلى ذلك في ديباجة الكتاب[1].

(الفصل الأول)

كانت حادثة شهارة تجربة ذات شأن، عرف الناس منها أن قوة الدفاع يرتكز على الإيمان الصادق، والعقيدة الثابتة، والشعور بالواجب كما أنها كانت درساً بليغاً عرف الإمام ورجاله أن القوات العثمانية التي تعزّزها التجريدات المتوالية من أطراف المملكة العثمانية المترامية الجوانب، لا بد وأن تفكر في عمل جدّي، قد يكون من الصعب مواجهته، ولا يؤمن أن يعود فيضي ورجاله إلى إعادة الكرة على شهارة والبلاد التي يستقر فيها

= الأتراك، وايرادها هنا مما يفيد الدارسين لهذا الجانب من الشعر السياسي.

(١) يلاحظ ان المؤلف لم يكتب هذه الديباجة وان الذي وصلنا هو الكلام على الحوادث بعد انتهاء معركة شهارة فيحقق.

الإمام وأنصاره، وأضيف إلى هذه الإعتبارات ما تجريه الإدارة العثمانية في البلاد التي تسيطر عليها، من أعمال العسف والجبروت، وشدّة النكاية بالرَّعية، والقضاء الوبيل على من ألتصقت به تهمة الموالاة للإمام ورجال الجهاد.

لذلك كان العمل في بثّ العصابات، وتجهيز الأمراء واستنفار الذين وهبوا لهذه الدعوة أنفسهم وأموالهم، وكان العمل متعدِّد الصور، شتى الألوان، مختلف الأساليب، وكل ذلك يرجع إلى صورة واحدة، وهي مطاردة العدو، وإخافته، وإنزال الضَّربات برجاله ومن يواليه، في الطرق، والمدن، والقرى وفي الشعاب، والجبال، وفي البيوت، والأدغال، حرب وطنية، أملتها الظروف لأنّ الخصم عنيد، ومزود بأسلحة فتاكة، ووراءه المدد المهيل، وفتكات صارمة، حتى دخل الرعب إلى كل قلب وأصبحت رجال السلطة العثمانية في وجل ورعب، في بيوتهم في العاصمة وغيرها.

وفي شوال كان قتل عبد الله بن علي المكرمي من رجال الباطنية وأحد أنصار السلطة العثمانية

وفي حوالي صنعاء كان سلب بعض ضباط الجيش العثماني أسلحتهم، وامتدت أيدي العصابات (بير العزب) القسم الغربي من العاصمة، وفيه بيوت أعاظم الرجال العثمانيين

وفي القعدة كان تجهيز القاضي حسين بن احمد العرشي إلى خولان وبني جبر، وما يتصل بهما، للعمل في سوق الناس إلى مطاردة الأعداء المغيرين.

وتلاه في اول ذي الحجة السيد الكبير احمد بن علي عامر، للتَّعاضد معه في إيقاد نار الحرب في جنوب صنعاء

وفي القعدة بعث الإمام بتجريدة إلى (سارع)[1] لإعانة أبناء البلاد هناك في طرد القوة العثمانية التي اشتبكت معهم في حرب طالت ثلاثة أسابيع، وتجريدة ثانية الى اماكن في نواحي (كحلان[2] وعفَّار[3] وحجة) تحت رياسة السيد الكبير عبد الله بن يحيى ابومنصَّر.

وفي هذا الشّهر هجمت قوات عثمانية كبيرة في (آنس) وطاردت المقداد ورجاله، وتخلص منهم بعد عراك طويل

وفي شهر ذي الحجة جهز الأمام عصابة ذات شأن إلى (ساقين) من بلاد الشام[5] مدداً للسيد الزعيم احمد بن قاسم حميد الدين[6]، ومدفعاً وأسلحة، بعد أن اتّسع ميدان العمل في الشام بين قائد جيش الامام، والثائر الداعي السيد حسن بن يحيى القاسمي، ووصل الى الامام طائفة من كبار رجال خولان بن عامر من الشام

وفيه وصلت رهائن خولان وبني جبر إلى المقام الامامي شعار طاعتهم وانقيادهم

وفيه كان تعزيز القوّات التي نفذت إلى خولان وما جاوره في جنوب صنعاء بقّوة تحت رئاسة السيد البطل محمد بن يوسف الكبسي.

---

(١) سارع: بالشمال الغربي من شبام كوكبان بمسافة ٨ ك. م. (المقحفي ص١٩٧).

(٢) هو كحلان تاج الدين مدينة جبلية بالشرق الشمالي من حجة بمسافة ١٧ ك. م (المقحفي ص٣٤٤).

(٣) جبل في بلاد كحلان بالشمال الشرقي من حجة بمسافة ٢٧ ك. م (السابق ص٢٩٠).

(٥) يعني الجهة الشمالية صعدة وما يليها.

(٦) هو العلامة أحمد بن قاسم بن عبد الله حميد الدين ولد بقرية القابل سنة ١٢٧٧ وكان قد شارك في حرب الأتراك وتوفي سنة ١٣٥٣.

وفي ختام هذا الشهر قَدَّم عقال خارق[1] وسفيان[2]، رهائن الطاعة للإمام لينضمُّوا الى صفوف المجاهدين العاملين

وفي ختامه أيضاً كانت معركة (جحانة)[3] مركز خولان، وجلب العثمانيون إليها قُوات كبيرة قَدِرُوا بها على الضّغط على المجاهدين ولكن المجاهدين قاموا وثبتوا وضربوا العدو في هذا المركز ضربات عنيدة، وفكوا الحصار المضروب على طائفة من المجاهدين.

وفي المحرم مفتتح سنة ١٣٢٥ هـ كان تجهيز السيد الكبير عباس بن علي بن إسحاق ومعه الشيخ أحمد بن أحمد مساعد للعمل في جنوب صنعاء.

وتلاه تجهيز السيد حمود بن محمد شرف الدين[4] تعزيزاً للمجاهدين في جنوب صنعاء

وفيه كان الالتحام العنيف بين قوّة عثمانية وطائفة من المجاهدين وتطاول العراك والطِّراد من بني بهلول[5] الى بلاد الروس[6] وفي قرية الدار البيضا[7] ثبت المجاهدون لكرات العدو، وقاوموا مقاومةً تستحق كل إعجاب وتقدير، وصبروا على قصف المدافع، وهول الهجوم، حتى تهدَّمت

---

(١) خارف: بطن من همدان موطنهم شرق قاع البون وشماله (المقحفي ص ١٣٩).

(٢) سفيان: قبيلة من بكيل من ولد شعبان بن أرحب بن الدعام لهم ناحية تعرف بحرف سفيان شمالي صنعاء بمسافة ١٤٦ ك. م وترتبط بقضاء حمر (المقحفي ص٢٠٨).

(٣) جحانة: مدينة في الشرق الجنوبي من صنعاء بمسافة ٤٠ ك.م وبها مركز ناحية خولان العالية (السابق ص٨٣).

(٤) مولده بكوكبان سنة ١٢٦٧ وأخذ عن علماء عصره وواجه الأتراك في مدينته وكان يعتمد عليه في فصل الخصومات وله مؤلفات في النحو وغيره توفي سنة ١٣٤٤.

(٥) بنو بهلول: ناحية من نواحي صنعاء ما بين سنحان وخولان العالية (المقحفي ص٥٩).

(٦) ناحية من نواحي صنعاء الجنوبية بمسافة ٢٧ ك. م مركز هاوعلان (السابق ص١٨٢).

(٧) قرية من ناحية بلاد الروس (السابق ص ١٥٣).

البيـوت، واختلط الفريقـان بين الجدران المبعثـرة، والأزقة الضيِّقـة، وخسـر الفريقان في الارواح عدداً لايستهان به

وفيه كان تجهيـز السيد النبيـل علي بن علي السراجي بتجـريدة تعمـل في الجهات الغربيـة من صنعاء، واشتبكت هـذه التجريـدة مع قـوة عثمانيـة شديدة البأس، تحت قيادة يوسف باشـا، في محل (قـراتيل)[1] من همـدان، وتنبهتالقيادة العثمانية للخطر المداهم، فأرسلت تجريدة إلى قـرية (الجلب) من الجبهة، مخافة أن يحدث إنتقـاض، ثم أتجه السـراجي الى (الماعـز)[2] من بـلاد (شمـات) فـانقض بعده محمـود رؤف من ولاة الأتـراك، وتنـاوش الفريقان مناوشة خفيفـة، ثم ان العثمانيين جلبـوا مدداً عـظيماً تحت ريـاسة يوسف باشا، وجنحت بعض أبناء البلاد إلى معاونتهم، فتحـول المجاهـدون إلى (الشـاحذيـة)[3] حتى وافاهم المـدد من الإمام، افتسنى لهم تـطهير هـذه الجهات، وعلت كلمة المجاهدين فيها (من بني الخياط[4] إلى بلاد شمات[5] والأهجـر[6].

وفي هذا الشهر هجم الشيخ احمد مساعد علي طابوس جَهَّزته القيـادة العثمـانية إلى جنـوب صنعاء، واعتـرضه المجـاهدين في (سـواد حزيـز) من أرباض العاصمة فقتلوا أكثر رجاله، وانقلبوا بغنيمة لا تقـدر، واهتزت صنعـاء لهذا الحادث الخطير على أبواب العاصمة وبعد حادثة (سواد حزيـز) حدثت مناوشات بين أبناء البلاد والقوات العثمانية، في حوالي صنعاء، وعلى مقربة

---

(١) قراتيل : قرية من همدان من عزلة الربع (المقحفي ص٣٢٦).

(٢) الماعز: من جبال الطويلة بـالشمال الغـربي من صنعاء قـال المقحفي يعرف اليـوم بحصن شمات (المقحفي ص٣٥٩).

(٣) عزلة من ناحية الرجم وأعمال الطويلة بالغرب الجنوبي من كوكبان (السابق ص٢٢١).

(٤) من الطويلة كوكبان.

(٥) من الطويلة كوكبان.

(٦) من الطويلة كوكبان.

منها، في وادي الأجبار[1] والضبعات[2] وبيت نمير وبيت حاضر[3]، وهاجمت القوات الوطنية إلى أرباض العاصمة (وفي رجام[4] والفرس[5] وبيت الحنمي) كانت مناوشات ومقاومات غير قليلة.

وفي هذا الشهر كان ارسال تجريدة إلى (حراز)[6] تحت قيادة السيد النبيِّل محمد بن المتوكل، وإرسال عصابة تحت رياسة السيد عبد الله بن يحيى أبو منصر، والشيخ ناصر بن منجوت الاحمر من رؤساء حاشد إلى نواحي كحلان وحجة وما صاقبهما.

وحدثت مناوشات في (وعلان) (وخدار) [7] وما يتصل بهما في جنوب صنعاء.

وأما القيادة العثمانية، فقد كان فزعها عظيماً، حينما ترامت الأخبار بالتجهيز إلى حراز فسارعت بانتداب يوسف باشا فهرع إلى عمران، وقرر معارضة العصابة النافذة إلى حراز في طريق مرورها، ومازال يستقري آثارها حتى أنقض عليها في جبل (هداد) [8] بين آكام ومرتفعات وعقبات كأدا، فعرقل سيرها وجاءت قوة من حجة عليها (غالب بيك)، واستطاع المجاهدون بصبرهم وثباتهم على المقاومة، حتى نفذوا إلى العريف [9]

---

(١) عزله من ناحية سنحان بالشرق الشمالي من صنعاء (المقحفي ص١٠).

(٢) من سنحان.

(٣) قرية أثرية في وادي الأجبار (المقحفي ص١٠٣).

(٤) رجام بكسر الراء واد من ناحية بني حشيش بالشمال الشرقي من صنعاء بمسافة ١٧ ك.م (السابق ص١٧٣).

(٥) قرية في الشمال الشرقي من صنعاء من ناحية بني حشيش (المقحفي).

(٦) بلد مشهور وهو أحد قضوات صنعاء بالقرب منها مسافة ٨١ ك.م.

(٧) خدار: بلدة تقع على ربوة أمام الصاعد من نقيل يسلح (المقحفي ص١٤١).

(٨) حصن في حجة.

(٩) عزلة من ناحية بني العوام حجة.

وبني عوام [1] بعد ان قاسوا مشقات كبـرى.

ومـازال يوسف يقتص آثـارهم، حتى التحم معهم في معركـة في بني (هيثم)[2] وثانية في جبل (ايهم)، ثم تحول السيد النبيل محمد بن المتوكل الى أسافل بـلاد (الشاحـذية) ثم انحـدر منها الى أسـافل الحيمـة إلى وادي (دايان)[3] وكان اتبـاعـه قـدوهنـوا، ومنهم من تـأخّـر، ومنهم من خنس، فقًـر الـرأي على ان يجتمع السيد محمد بن يوسف والمقـداد، بالسيـد النبيل محمـد بن المتوكل فاجتمعوا (في بني يوسف) من الحيمة، وأمـا يوسف فقـد رجع الى (الرُّجم)[4] وحدثت هناك معركة بينه وبين عصابة من المجاهدين، تحت إمرة السـراجي، ثم ان يوسف بـاشـا أسـرع عـائـدا إلى همـدان، فتم بـذلـك تـطهيـر بني الخياط، وما اتصل بها، وأراد المجاهدون مهاجمة الطويلة، فانحـدر يوسف راجعاً لملاقاتهم

وفي بيت مفـرح من الضلع دارت معركـة حمي وطيسها،فـانسحب منه المجاهدون

وفي هذا الشَّهر حدث التحام وعـراك بين المجاهـدين وقوات عثمـانية في الحيمة ابتدأت (من الفجـرة) وامتـدت (الى بيت شـردة) والى (ينـاع)[5] وإلى بيت (الهـرطا) وبعث الإمـام الى المجاهـدين بالمـدد، كما أن طـابوراً أسرع إلى بوعان مدداً للقوات العثمانية

وفي هذا الشهر تَمَّ للمجاهدين استرداد (حصن شيعان) من بـلاد حجة بعد حرب ضروس

---

(١) ناحية من قضاء حجة.

(٢) من الشاحذية الطويلة.

(٣) هي الآن عزلة من بني مطر (المقحفي ص١٥٤).

(٤) من ناحية الطويلة.

(٥) حصن منيع من عزلة الجدعان بالحيمة الداخلية (المقحفي ص٤٧٧).

وفي هذا الشَّهر خرج فيضي الوالي العثماني بصنعاء إلى سيَّان[1] والمخرف[2] والمعاين[3] يريد بذلك تخويف المجاهدين، كي لا يهاجموا (محمود نديم) الذي جمع أموالاً من اليمن الأسفل، واتجه بها إلى صنعاء، وبعد رجوع الوالي فيضي باشا إلى صنعاء خرج مسرعاً إلى (عمران) في الجهة الشمالية لصنعاء بقوة ذات شأن، وكانت الاخبار قد ترامت إليه بحصار (حصن عفَّار)[4] وفيه قوة عثمانية كبيرة، فأسرع إلى نجدتهم بنفسه.

وفي شهر ربيع الأول هرع إلى كحلان بقوات كبيرة استطاع بها أن يفرق جمع المجاهدين، وفك الحصار المضروب على حصن عفَّار بعد معركة كانت في (قرية المشعيب)[5]، وانسحب المجاهدون بعد أن أبلوا بلاءً حسناً، وانقلب فيضي راجعاً إلى صنعاء بعد فراغه من المهمة التي قصدها، وبعد انصراف فيضي عاد المجاهدون في هذه الجهات فلمُّوا شعثهم ونظموا صفوفهم، واشتبكوا مع قوة عثمانية، في ملحمة ذات بأس في (قرية قيدان)[6] وخسر العثمانيون فيها خسارة كبيرة، ثم في قرية (الصعيفية)[7] وغنم المجاهدون غنائم وطاردوا قوات عثمانية الى (سودان)[8] ثم الى (شرس)[9] ثم الى عقبة سلامة.

وفي هذا الشهر حدثت معركة بين المجاهدين وقوة عثمانية في محل

---

(١) سيان: قرية عامرة جنوب صنعاء من بلد ذي جرة (بلاد الروس اليوم) (المقحفي ص٢١٨).
(٢) قرية كبيرة من اليمانية العلياء(تعداد ج١ ص٥٣).
(٣) قرية من عزلة اليمانية العليا ناحية خولان الطيال (السابق ص٣٩٥).
(٤) قرية من عزلة بني موهب ناحية كحلان عفار من قضاء حجة (التعداد).
(٥) هي الآن عزلة من ناحية كحلان عفار حجة.
(٦) من عزلة بني موهب ناحية كحلان عفار.
(٧) قرية في شرس بالشرق من حجة (المقحفي ص ٢١٦).
(٨) عزلة وناحية من حجة.
(٩) ما بين حجة وشرس.

(المحطة) من بني السياغ في أعلى الحيمة، وكانت الحرب في هذا الموقع شديدة فاضطر المجاهدون إلى الإنسحاب الى (بلاد الثلث) من ناحية بني مطر وتلا هذا عراك عنيف بين عصابة من المجاهدين واخرى عثمانية في (بيت الرميم) من الحيمة ووافى المجاهدين المدد المرسل من الإمام إلى هذه المواقع، واقتضى التدبير تكثير العصابات والزعماء في بني مطر وحواليها، للمراقبة على الطريق الغربية بين صنعاء وحراز والحديدة

وفي هذا الشهر وصلت بعثة من الاستانة الى صنعاء لدراسة الأحوال ووضع قرار بما يجب إجراؤه في اليمن

وفي هذا الشهر التحمت عصابات من المجاهدين بقوات عثمانية، في جبل (قيفان) [1] واشتد العراك طوال ثلاثة أيَّام، وانتهت المعركة بخسارة كبيرة في العثمانيين

وفيه حمي وطيس النزال بين يوسف باشا وعصابة من المجاهدين في الأشمور، تحت إمرة السيد الكبير عبد الله بن يحيى أبو منصَّر وفي حصن (حِلَملَم)[2] كانت حرب شعواء ابلى فيها الوطنيون بلاء عظيماً حتى أصيب قائدهم السيد المذكور برصاصة أخترقت كتفه، وكتب الله له السَّلامة

وفيه تجمعت قوات عثمانية في الحيمة، وشددوا الهجوم على السيَّد النبيل محمد بن المتوكل وعصابة المجاهدين التي تعمل تحت إدارته، ودارت الحرب في (محل قُرامش) (والى نيهان) (وعزَّان) (وبيت الخطابي)، واضطر المجاهدون إلى الإنسحاب إلى حدود بلاد كوكبان، لكثرة جموع الأعداء، وبقي الأمام يواصل المدد إلى هذه المواقع وغيرها

وفيه نشبت معركة في بلاد (مسور) وهاجم العثمانيون محل (عُلُمان)،

(١) من جبال بني مطر (أئمة ق ٢ ص ٩٥)

(٢) قرية من عزلة الأشمور وأعمال عمران (المقحفي ص ١٢٧).

وضايقوا المجاهدين فيه، وبعد مقاومة عنيفة، تراجع المجاهدون الى مواقع اخرى

وفي أول ربيع الثاني جهَّز الإمام تجريدة الى حوالي ذمار

وفيه عاد الوفد العثماني إلى الأستانة بعد ان قرروا استصحاب طائفة من رجال اليمن الموالين للعثمانيين[1] ليشرحوا للمقامات العالية في الأستانة حالة اليمن، وما يجري فيه

وفي هذا الشهر دارت معركة عنيفة بين الفريقين في (مقولة) (من سنحان)[2] وانهزم يوسف باشا فأمده فيضي بقوة تحت قيادته بنفسه، ولكثرة الجموع العثمانية، تفرَّق المجاهدون بعد قتال بلغ أقصى درجات العنف

وفيه اشتبك الفريقان في وادي علي من بلاد مسور، وأنزل المجاهدون بأعدائهم خسارات فادحة

وفي هذا الشهر هاجمت قوات عثمانية من حجة ومسور، وكان هدفهم (الشراقي)[3]

وفيه دارت معركة شديدة وتفرق المجاهدون، وعلى إثر هذه المعركة هجمت قوات عثمانية على المجاهدين في بني عوام وبعد مناوشات انتقل المجاهدون إلى بلاد (العريف) حيث وافاهم المدد من الامام.

---

(١) ذكر خبر هذا الوفد بتوسع المؤرخ محمد زبارة في أئمة اليمن ق ٢ ص١٠٣ وذكر من ضمن أعضائه العلامة عبد الله بن علي بن عبد القادر والعلامة محمد بن يحيى المنصور والعلامة علي بن محمد الجرافي والحاج عبد الله بن محمد السنيدار وغيرهم وكان من ضمن أعضاء هذا الوفد العلامة محمد بن حسين غمضان الذي أفرد هذه البعثة برحلة مستقلة قمنا بتحقيقها ونشرها.

(٢) قرية في الجنوب الشرقي من صنعاء بمسافة ٢٠ ك.م من عزلة الربع الشرقي ناحية سنحان (المقحفي ص٤٠٤).

(٣) جبال ملاصقة لجبل مسور ارتفاعها عن سطح البحر زهاء الفين وخمسمئة متر (نفسه ص ٢٢٨).

وفي شهر جمادي الأولى حدثت في قريـة (ملاح) من رداع معـركة بين المجاهدين، وأهل البلدة لممالأتهم لـلأتراك، ووقـوفهم في وجه الـوطنيين، وسرعان ما هرعت قوة عثمانية من ذمار ويريم لمطاردة المجاهدين من رداع، فأسرع المجـاهدون بـالتحول الى بـلاد (قعطبـة)[١] (وبلاد[٢] عمَّـار) ينتظرون المدد من الامام، وهناك عارضهم الشيخ الكبش أحد أنصار العثمانيين، وأحد الشيوخ العتاة، فأنزل به المجاهدون ضربة تليق بعتوّه وأذاه.

وفي هذا الشهر تمـردت رجال من الخبث التـابع للمحويت واستعانـوا بـالعثمانيين فـأوقع بهم المجـاهدون في (نمـره) (وجبـع) من الخبت وخسـر هنالك المبطلون وفي هذا الشهر احتلت العصابات المجاهـدة (الصَّفقين) من بلاد حفاش[٣].

وفيـه نشبت معركـة بين عصـابـة من المجـاهـدين وقوة عثمـانيـة في (شرس) انتهت بعد مقتل وتخريب بتحّول المجاهـدين إلى بني العوام وبـلاد العريف حيث ترابط هناك عصابات قوية.

وفي هذا الشهر ثار أهل حفاش واستدعوا قوات عثمـانية، واستنجـدوا بـالبوني[٤] من تهـامة، وأرادوا المكـر بالمجـاهـدين فـأسـرعـوا بـالتحـول من الصفقين الى (القـطعة والمحويت) حتى يوافيهم المـدد من الإمـام، ثم أن العثمـانيين، ومن معهم من حفـاش والخبت وأصحـاب البـوني زحفـوا الى المحـويت وكانت الذخيرة الـلاَّزمة للحـرب قد نفـدت من ايدى المجـاهدين فتحَّولوا وشيكاً الى بلاد (لاعة)[٥] وما جاورها.

---

(١) مدينة بالشرق الجنوبي من مدينة إب بمسافة ٦٢ ك. م (المقحفي ص ٣٣٣).

(٢) مخلاف من بلاد النادرة في الشمال الشرقي من مدينة إب (نفسه ص ٢٩٥).

(٣) حفاش: جبل مشهور بالغرب من صنعاء بمسافة ١٤١ ك. م جوار جبل ملحـان وهو نـاحية تـابعة لقضاء المحويت (المقحفي ص١٢٤).

(٤) هو عبد الله باشا البوني كان من الموالين للأتراك وقد قاتل وملك ضياعاً كبيرة.

(٥) لاعة: بلدة معروفة من أعمال حجة (المقحفي ص ٣٥٥).

«زيارة الإمام لصعدة»
«واسباب ذلك»

في الشهور الماضية كان النزاع قائماً في بلاد الشام صعدة وما يتبعها من قبائل رازح وسحار وخولان وجماعة، وما يتصل بها وكان القائد لقوات الإمام في هذه الدِّيار المتسعة الجوانب السَّيد النبيل احمد بن قاسم حميد الدين، وكان الثائر على رأس هذه الديار السيد القاسمي[1] قد تكاثرت جموعه، وتطاولت أركانه، وفي خلال المعارك المتوالية، اتفق ضرب الحصار على السيد عبد الله بن قاسم أخي القائد العام في هذه الديار، وكان حصره في (زُبيد)[2] على غفلة، وتعذر فك الحصار المضروب عليه، فكان هذا من الاسباب الداعية الى التفكير في الأمر، وبعد مذاكرات ومحاورات بين قائد قوات الإمام وبين رجال القاسمي، تم رأيهم على أن يجتمع الإمام والسيد حسن القاسمي في رحبان من أرض الشام، وأن يحضر إجتماعهما رؤس العلما والأعيان، من سائر البلاد، وكان أخذ الرهائن والعهود والمواثيق خشية ان يحصل غدر او مكر، في أثناء الاجتماع من أشرار أو مفسدين، ولما وصل هذا الإقتراح الى الإمام، وهو محاط بالمشادة والمشاق، وأعمال المجاهدين منبثة في طول البلاد وعرضها، والتحول ستكون له آثار سيئة في فترة الجهاد وخمود العزائم، وعلى رغم كل ذلك فقد لبَّى هذا الإقتراح الذي نعلق عليه بكلام وجيز ونقول انه من المجازفات ومن التدبير السيّء ولا سيما وهذا الاجتماع في البلاد التي يتحارب عليها الفريقان، وقد نظر الإمام إلى أمر واحد، وهو انه اذا رفض قبول هذا الاقتراح، كان ذلك مدعاة لدعاية واسعة للقاسمي وأعوانه، وربما ينخدع

---

(١) هو الداعي حسن بن يحيى القاسمي السابق ذكره.

(٢) وادي زبيد من ناحية حيدان قضاء خولان بن عامر (تعداد ج ٧ ص ٥١).

بعض رجال الإمام، فأسرع إلى الوفاق[1] وأخذ معه جماعة من علماء ذمار وصنعاء وحوث [2] وغيرها واخترق المسافات النائية، ووصل الى الصفرا[3] من ارض الشام، ثم كان التحول الى رحبان[4] حيث عين مكان الإتفاق، واستقر في (حصن السنّارة)[5] حصن صعدة المتين، وبينما الناس ينتظرون القاسمي إذا بالانباء تترامى، انه قد أضرب، وانه غير واثق من نفسه للدّخول في مفاوضةٍ ينتهي بها أمر النزاع، وتعددت المراسلات، واختلفت الوفود والقاسمي مصرّ على ان لايقبل رأياً، وعلى ان لايفي بما عاهد عليه، وبعد إفتضاح أمر الثائر المذكور، وظهور فشله وعجزه، آيس الناس منه وأسرع الإمام آيباً الى مقره الذي يدير حركة الجهاد منه، وكان من آثار هذه الزيارة، وهن القبائل التي ركبت قرونها مع القاسمي، وتخوفهم من العواقب، وفاء كثير الى الانقياد والإنضواء الى صفوف الجماعة، وعلم أثر رؤساء الشام انّ الدائرة لا محالة واقعة بهم، فأصبحوا يتسلّلون تباعاً تاركين القاسمي وأحلامه يعيش في ظلالها ولذاتها الى ان تأتي ساعته الأخيرة، وقد كان من آثار هذا التحول، فتور حماسة المجاهدين وانطفاء جذوة عزماتهم خلال المدة الي ابتعد فيها الإمام الى الشام ١ هـ.

«عود إلى أعمال المجاهدين»

في هذا الشهر هجمت قوات عثمانية تحت إمرة يوسف باشا الى

---

(١) أي الاجتماع بالقاسمي المذكور وقد ذكر هذا الحبر المؤرخ زبارة في أئمة اليمن ق ٢ ص١٠٠.

(٢) بلدة معروفة من حاشد شهيرة بالعلماء.

(٣) الصفرا: مدينة بالجنوب الشرقي من صعدة بمسافة ٢٥ ك.م وبها مركز قضاء همدان (المقحفي ص٢٤٩).

(٤) واد عظيم في الجنوب من صعدة بمسافة ٣ ك.م كان قائماً به سد الخانق (نفسه ص١٧٤).

(٥) يقع على مقربة من صعدة به مركز ناحية سحار (نفسه ص ٢١٣).

الأهجر[1] وقابلتهم عصابات المجاهدين بالكفاح وتطارد الفريقان من شعب إلى آخر، ومن قرية إلى أخرى بين الضَّرب والفتك وتطاول العراك (الى بيت قطينة)[2] ودارت فيه معركة حامية الوطيس واخرى في بني (الخياط) وفي محل (سافوف)[3] (وبيت القطيبي)[4] (وفي التعبرة)[5]، وفي طول هذه البلاد جرت معارك دامية، ومصاولات حامية، انتهت بتحول المجاهدين الى الجهات الجنوبية الغربية.

وفي خلال غياب الإمام في الشام كان الشريف عبد الله الضمين أحد زعماء المجاهدين الأشاوس، قد وضع نصب عينيه إثارة الحرب شعواء في القرى والنواحي الواقعة شمالي صنعاء، واشتبك الفريقان في معارك حامية الوطيس منها معركة (جربان[6] وضروان)[7] ثم معركة (بيت الحداد)[8] ثم حوادث (منكل وجبل الحمرا)[9] ثم عراك (الحقة[10] والاحربي)[11]، وكان الأتراك يقصفون بمدافعهم الشديدة في هذه المعارك، وتمكنوا من جلب قوات هائلة لقربها من (صنعاء) وكان الشريف الضمين يدير هذه المعارك بلباقة وحذق وحذر، فلم يقع مرة واحدة في يد العدو على كثرة المصاولة

(١) الأهجر: عزلة من ناحية شبام قضاء الطويلة.

(٢) من ناحية بني الخياط قضاء الطويلة (المقحفي ص٣٣٣).

(٣) من عزلة الجرادي بني حبش ناحية وقضاء الطويلة (التعداد ٩ ص٢).

(٤) قرية من عزلة الذولاني من ناحية الطويلة (المقحفي ص ٣٣٣).

(٥) من عزلة بها بني مصعب ناحية الرجم قضاء الطويلة (انظر كتابنا معجم البلدان ص ٣٢٧).

(٦) جربان: قرية من بلاد همدان بالشمال من صنعاء بمسافة ١٨ ك. م (المقحفي ٨٦).

(٧) ضروان: بلدة من ناحية همدان المذكورة ثم من مخلاف بني مكرم (نفسه ٢٥٩).

(٨) من عزله ربع وادعة ناحية همدان «عبد الله الثور: اليمن دراسة موجزة للمحافظات ص٥٨».

(٩) من ربع وادعة السابق ذكره (نفسه ص ٥٨).

(١٠) كسابقه من ربع وادعة همدان (نفسه ص ٥٨).

(١١) موضع من همدان شمالي صنعاء (المقحفي ص ١٢).

والـطراد ثم انتقل إلى (حـاز)[1] وبيت غُفر[2] في شهـر رجب من هـذا العـام، فتبعه يوسف بقوته وواصلت القيـادة العثمانيـة ارسال التجـريدات الى أرحب وهمدان وغيرهما من البلاد المجـاورة للعاصـمـة صنعاء خشيـة ان تمتد ايـدي المجاهدين إليها، ويضيِّقون الخناق على من فيها.

ثم عقدت هدنة بين مشائـخ همدان والسلطة العثمـانية لثـلاثة شهـور، على ان تضمن قبيلة همـدان تـأمين المـارّة في الـطرق الـواقعـة بين صنعـاء وعمـران وشبـام، ويعفى عن هـذه القبيلة في كـل مـطلب حكـومي وتحتـرم ديارهم.

وفي شهـر شعبان قـدَّم رؤساء خـولان، ونهم وارحب، مـواثيق ولائهم للإمام راغبين في مـواصلة الكفاح واستمـرار الصراع وعـادوا من مقر الإمـام بقلوب راضية شـاكـرة.

وفي هـذا الشَّهر زار الإمـام معقل شهـارة ورافقه طـائفـة من العلمـاء والرؤساء وتفقد امور شهارة وأسوارها وتحصينـاتهـا.

(حملة رداع وقعطبة واعمالها)

أشـرنا قبـل هذا الى أن عصـابـة تـوجهت الى رداع وانتهت الى بـلاد عَّمار وقعطبة وأن الشيخ الكبش عارضها وآذاها، فانتقمت منـه لبغيه، ونشيـر هنا الى ان هذه العصـابة كـانت تحت إمارة السيـد الكبير محمـد بن يوسف الكبسي، والشيخ الزعيم المقداد، ومن اعمال هذه العصابة، مناوشات عنيفة

---

(١) قرية أثرية من ناحية همدان على طرف قاع المنقب (نفسه ص ١٠٢).

(٢) قرية خـربة غنيـة بالآثـار وهي بالغـرب من صنعاء عـلى طرف قـاع المنقب شـرقي جبـل كوكبـان بمسافة ٥ ك.م.

حدثت بينهم وبين قوة عثمانية، بالقرب (من النادرة)[1] ثم اسرعت هذه العصابة بالانتقال الى (قاع الحقل)[2] من (بلاد يريم)[3] مارين (على خبان)[4] وعرّسوا[5] في قرية رباط القاع وامتدوا الى (عَراس)[6] منازل الباطنية الاسماعيلية، وسرعان ما تجمعت القوات العثمانية (من صنعاء وذمار وإب) دفاعاً عن يريم وخوفاً من قطع الطريق الجنوبية الهامّة، ودارت الحرب بين الفريقين في (ذي صارف) من (عراس) و (ذي شميران) ثم تحول المجاهدون الى (بني مسلم) من بلاد يريم وانتشروا الى بني سيف[7]، وشرذمة غزت الى (السّدة) من بلاد خبان واشتبكت مع قوة عثمانية في معركة بجوار (السّدة) ثم انتقلت هذه العصابة الى بلاد ذمار وتمردت طائفة منها على القائدين المذكورين، ثم أجمع الرأي على ان يفترق القائدان في العمل فاتجه السيد محمد بن يوسف الى قاع (جهران) ففاجأته قوة عثمانية فانقلب الى مخلاف ابن حاتم (من بلاد انس) ثم اتجه الى الحقل بين وادي اعشار والمخلاف وانتهى الى الدار البيضاء، وخولان، وتفرقت عصابته.

واما القاضي الأديب حسين بن احمد العرشي فانه قاد حملة من خولان والحدا واشتبك مع العثمانيين في قرية (صنعة)[8] ودارت معركة حامية عنيفة، دامت اسبوعاً، ثم تحول الى اطراف جهران وانحدر الى أطراف مغرب عنسي، وقد تخلف من أصحابه طائفة من الحدا وتركوه وتجاوزها الى

---

(١) مدينة في الشرق الشمالي من إب في وادي نبا (المقحفي ص ٤٢٩).

(٢) هو المعروف بحقل قتاب في بلاد يريم الآتية.

(٣) مدينة بالجنوب من صنعاء بمسافة ١٠٥ ك.م تقع في سفح جبل يصبح المطل عليها من الناحية الشمالية الشرقية (نفسه ص٤٧٢).

(٤) واد مشهور سميت به ناحية خبان من أعمال يريم (الحجري ص ٣٠٤).

(٥) أي باتوا.

(٦) عراس: عزلة من بلاد يريم (نفسه ٥٩٧).

(٧) عزلة من ناحية القفر وأعمال يريم (المقحفي ص ٣٢٠).

(٨) صنعة من قرى بلاد آنس (الحجري ص ٥٤٧).

بلاد يريم، واستقر في قرية (بلَسان[1] والرباط) وفي هاتين القريتين قصدته القوة العثمانية، ودارت بين الفريقين حروب شديدة، تحول في إثرها المجاهدون الى (مغرب عنسى) الى محل (وثن)[2] ثم انحدروا الى (بلاد عتمة)[3] فعارضهم الرِّيمي أحد مشائخ عتمة وحدثت فتن ذات شان بين المجاهدين، والثائرين في وجوههم من أهل عتمة وبدرت بوادر التمرد تظهر من رجال خولان فأراد النهوض بهم الى (القفز)[4] وبعد مشقّة تجمعت هذه العصابة تحت قيادة العرشي وانحدروا الى القفر، وعارضهم كثير من أبناء البلاد، وتألبت عليهم المشائخ من كل صوب فاضطر قائد هذه الحملة الى الإياب، فأسرع راجعاً الى الإمام وفي شهر ذي القعدة الحرام بث الامام أفراداً من المجاهدين لأخافة الموالين للأعداء في قضاء كوكبان من المشائخ والرؤساء.

وفيه خرجت قوات عثمانية الى (أرحب)[5] الى بيت دغيش[6] والى (الحيفة)[7] فكان من الإمام ارسال بعض رجاله الأشاوس الى بني يريم[8] وخارف[9] لجمع عصابات وتشكيل جماعات للمقاومة فهرع الناس افواجاً تلبية للطلب.

---

(١) قرية من عزلة عبيدة ناحية وقضاء يريم انظر كتابنا معجم البلدان ص٢٧١.

(٢) قرية من عزلة مغرب عنس (المقحفي ص ٤٦٠).

(٣) عتمة: بالضم ناحية مشهورة من ذمار بالغرب الجنوبي منها بمسافة ٦٢ ك.م (المقحفي ص٢٧٧).

(٤) هو قفر حاشد. أرض واسعة تمتد من جبال يريم شرقاً حتى جبال وصاب العالي غرباً ومن مغرب عنس شمالاً حتى المخادر جنوباً (المقحفي ص ٣٣٤).

(٥) أرحب : قبيلة كبيرة من همدان وهي ناحية تابعة للواء صنعاء في الشمال الشرقي منها بمسافة ٥ ك.م (نفسه ص١٧).

(٦) عزلة من سدس بني حرموز بالشمال الشرقي من صنعاء بمسافة ٦ ك.م.

(٧) قرية من خمس زندان بأرحب.

(٨) من حاشد.

(٩) خارف من همدان موطنهم شرق قاع البون وشماله.

وفي هذا الشهر حـدثت معركـة بين عصابـة، وقوة عثمـانية (في سـواد بوسان)[1] انتهت بخسارة العثمانيين وفيه حدثت معـركة في (بيت الحمـودي) من اطراق ذبيان واشتـد العراك فيهـا، وخسر المجـاهدون فيهـا بعد ان ابلوا بلاء حسناً، ودخلت القوة العثمانية (ذيفان)[2] وهدأت الحالة.

وأطل هلال ذي الحجة ختام هذا العام، ولم يحدث فيه من الحوادث ما يستحق ان يسطَّر ويسجل. سنة ١٣٢٦ هـ.

طلع هـلال هذا العـام، والحالـة العـامـة في اليمن تبعث على الأمـل فحركات الدفاع قويت، وأعمال العصابات أستوت، والسّلطة العثمانيـة تلوح عليها مخايل الوهن، وتقذف بكل مالديها من قوة فتفشل، وتبؤ بالخسران.

وفي هـذا الشهر محـرم مفتح العـام الجديـد، تشاور الإمـام مع كبـار رجاله في تنظيم الصفوف، وبذل الجهود والمثابرة على العمل.

وفيه نشطت عصابة من أهل الحيمة للعمـل ضد السلطة العثمـانية في الطريق الغربية بين صنعاء وحراز، وسلبت وفتكت.

وفيـه حدثت منـاوشات بين المقـداد في آنس ، وقوة عثمـانيـة والتحم الفريقان في معركة حامية الوطيس، في الموضـع المعروف (بحمـام علي)[3] وفي هذا الشهر تجمعت قوات عثمانية الى (عَمران)[4] واتجهت الى الأشمور واحتلت اكثر أماكنه ، واتحـدت كلمـة الأهـالي على الـدفـاع اعـانـة للمجـاهدين، (وفي قـطع عزان) دارت معـركـة بـذل فيهـا الفـريقـان اقصى

(١) بوسان: بلدة عامرةبأرض الخشب من أرحب.

(٢) قرية من ناحية ريدة من قضاء عمران.

(٣) من أعمال ضوران آنس.

(٤) بلدة معروفة بأعلى البون تبعد عن صنعاء شمالاً بمسافة ٤٨ ك.م.

جهـودهم واستمر وصـول المدد للعثمـانيين كما ان الإمـام واتر الأنجـاد بكل مستطاع.

وفي شهر صفر نشطت رجال الجهـاد في هذه البـلاد بعد ان تكـاثرت جموعهم، وشحذت عزائمهم وأمَّدهم الإمام برجال عرفت بسـالتهم، فانـزلوا بالقوات العثمانية خسائر فادحة، وكثـرت القتلى والجرحى وغنم المجـاهدون غنائم طائلة، وتقهقر العثمانيون عن مراكزهم مثخنين خاسـرين.

وبعـد هـذه الحـادثـة وافى مـدد عثمـاني كبيـر تحت قيـادة يـوسف فاضطرمت نار الحرب، واشتد العراك واستـرد العثمانيون ماكانوا قـد تركـوه من الأماكن، وانتهوا الى مدينة كحـلان[1]، وتحول المجـاهدون الى الجبـال المصـاقبة لكحـلان بعد معـارك استعرت نيـرانها واشتـدت اهوالهـا وانثـالت الغارات الى المجاهدين يتربصون الفرصة السانحة للأنقضـاض.

وفي هذا الشهر هجمت عصابة من المجاهدين، على مدير بـلاد آنس بعـد ان خرج من ضـوران يريـد صنعاء، فسلبت العصـابة كـل مـا كـان في رحاله، وأتت على رفاقه قتلاً وأسراً، وكانت الغنيمة وفيـرة.

وفي هذا الشهر هاجمت القوات العثمانية المـرابطة في كحـلان (جبل عيـال يزيـد) وحدثت بينهم وبين المجـاهدين معـارك شديـدة وتهدمت قـرى كثيـرة من جراء ذلـك، ثم تفرق المجـاهدون وتجمعت القـوة العثمانيـة (الى ريدة).

وفي هذا الشهر غزت عصابة المقداد جماعة من العثمانيين، كانت في (المحيام)[2] وكبسوهم على غَرة، واثخنوهم حتى امتلآت البقاع بـأوصالهـم،

---

(١) كحلان: سبق ذكرها من أعمال حجة.

(٢) أقصى بلاد الحجة الخارجية وفيها بين أطراف بلاد ريمة وبرع ووادي سهـام على مسـافة ثـلاثة أيـام غربا وهو بكسر الميم وسكون الحاء المهملة وفتح الياء المثناة وآخره ميم (أئمة اليمن ص١٢٢).

وسالت الأماكن بدمائهم وغنم المجاهدون غنائم طائلة من اسلحـة وغيرهـا، وكان لهذه الغزاة أثر بارز في الدوائر العثمانية ومن يـواليها.

وفي هـذا الشهر هجمت القـوة العثمانيـة التي تجمعت في ريـدة على (السّود) وقابلهم المجـاهدون، وجـرت معركـة بين الفريقين، انتهت بـرجوع العثمانيين الى عمران.

وبعد هذه الحوادث نشطت رجال العصابـات للعمل السـري، فأرهبـوا كل من يشتط في ولاء العثمانيين، ويبالغ في نكاية المجاهدين، وباغتوا كـل معاند الى عقر داره، وحدثت قضايا شخصية كثيرة في الحيمـة وبني الحارث، وهمدان، وأرباض صنعاء وغيرها هذا اعـظم ماحـدث مما يستحق التسجيـل البيان، ومرّت الأيـام وفي الاحوال سكـون من الجانبين غيـر مفهوم سببـه، للهم الاّ ان يكون الكلال والونى[1] قد اخذ مأخذه من الفـريقين.

وما أطلّت أيام رجب من هذا العام إلاّ والانباء تترامى من وراء البحـار بحوادث الأستانة وما جرى فيها، وتلهج بذكر الإنقلاب الخـطير الـذي شغل أفكار العالم في شـرق الأرض وغربها، فقد نجحت مسـاعي رجال جمعيـة الاتحاد والترقي بعد فصول تاريخية طويلة واضطر السلطان عبـد الحميد الى اعـلان الحكم الدستـوري[2] مكـرهـا، ونـزل على ارادة الأمـة مـرغمـاً، وشـاءت إرادة الله ان يحـدث هذا التغييـر العظيم والانقـلاب التاريخي الهـام، بدون ثـورات ولا صدام، بـل اسرع السلطان الى التنـازل للأمـة والرضـا باعلان الدستور بعد ان برح الخفا وتبين استفحال حركات الدستـوريين.

وهذا كما تعلم إنقلاب له معنـاه وله آثـاره، فان الحكـومة العثمـانية،

---

(١) الفترة والضعف.

(٢) اشارة إلى قيام مدحت باشـا مع جماعة الأحـرار باعـلان الدستـور سنة ١٩٠٨ ثم مـا صحبه من خلع السلطان عبد الحميد، انظر تاريخ الدولة العلية ص٧٠٦ تحقيق احسان حقي .

كـانت مسخرة لإرادة الـذات الشاهـانيـة[1]، ولا راد لمـا قضت، فلما حـدث الانقلاب التاريخي، اقتضى ذالـك قلب نظام الحكـومة في اسـابيب الحكم وأوضـاع الحكومـة الـداخليـة والخـارجيـة والحـربيـة والمـاليـة، والثقـافيـة، والاقتصـادية، وانتهـاج سيـاسـة جـديـدة لـذلـك جعلنـا هـذا الحـادث نهايـة فصـل تاريخي، ومبدأ صفحة تاريخية جديدة.

واذ قد انتهينا من تلخيص حوادث سنة ١٣٢٥ هـ وصدر سنة ١٩٢٦ هـ، فلنقدم للقـارىء هنا قصيـدة من الشعر الجميـل الـرّصف، من نـظم السيـد الأديب محمد بن احمد الشامي[2] قدمها الى الامام في مطلع عام ١٣٢٥ هـ، وهي ما اثرنا الترويح على القارىء بنقلها، وتركنا غيرها مخافة أن يسأم المـطالع، ويخرجه الإستطراد من حوادث التاريخ الى الادب وإليك نصها:

مثلي عـن التـشبيب حـقـاً يعـذر ... لكن شككـت بـان يقـال مقصّـر
ورأيت كـل فصيح شعـر نـظمـه ... بصفـات إيـام الـشبـاب يـصـدر
وعـلي حـق لـلشـبـاب وانـه ... لأحق بـالنـظم البـديـع وأجـدر
زمـن بـه روض الأمـانـي أخـضـر ... نضـرٌ ودوح الـوصـل فيـه مثّمـر
مـرت لـيـالـيـه عـلي لآلـيـا ... تزهـو على جيـد الـزمـان وتـزهـر
فلكم نـظمت الشعـر فيـه مشببـاً ... فـكـأنـه درّ هـنـاك وجـوهـر
حتى اذا مضت الـثـلاثـون التـي ... طـابت وسبـع في السنين وأشهـر
من قـام منـتصـر لملة احـمـدٍ ... إذ شـاع جـور في البـلاد ومنكـر
وتكـاثفت ظلم الضـلال فـأظلمت ... وأبيـح خمـر في الـطغـاة وميسـر

---

(١) أي الملكية.

(٢) هـو الأديب محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الشامي ولـد بصنعاء سنة ١٢٧٨ وهاجر إلى صعدة لتلقي العلم ورافق في عدة غزوات ضد الأتراك وهو شاعر فحل توفي سنة ١٣٢٩ (نـزهـة النظر ص٥٠٧).

(الفصل الثاني)

انتهى القول بنا عند حديث الانقلاب العثماني والإشارة إلى ما يستلزمه النظام الجديد، ونحن الآن نشير إلى ما يتعلق باليمن وشؤونه من آثار هذا النِّظام الحديث، ليتم لنا ربط تاريخ هذه الحقبة بأسبابها ومقتضياتها، فنقول: أنه لما أستقر الدَّستور وفتح السلطان عبد الحميد له صدره أخذت الأمور تجري في مجرى جديد، وتشق لها أساليب جديدة، تحت آراء المفكرين والوزارات والمجالس، وقد كان بحث اليمن من موضوعات الحكومة الجديدة، فأسرع الصَّدر الأعظم كامل باشا إلى إرسال سيّدين من أبناء اليمن ساقتهما الأحداث إلى الاستانة، أرسلهما إلى الإمام، وزوّدهما بكتاب وجيز اقترح فيه أن يوفد الإمام رجلين أو ثلاثة إلى الاستانة للبحث معهم في شؤون اليمن .

وقد كان من بعض زعماء العهد الجديد الكتابة إلى جلالة الإمام من الحديدة، إحدى مدن اليمن الساحلية[1] أفاضوا في مزايا العهد الجديد، ونـدّدوا بالحكم البائد وأوسعوه سبّاً وشتماً ورجوا من الإمام، فك الاسرا الذين في معتقلات الأسر والمن عليهم فسارع الإمام إلى إرسال أكثر الأسرا تحت الرعاية والإكرام إلى الحديدة، وسلموا إلى الإدارة هناك بدون قيد ولا شرط، تطوّلاً وامتناناً .

وبعد أن تشاور الإمام مع رجاله تم الرأي على إيفاد ثلاثة من أكابر المخلصين إلى الأستانة، وتم الرأي على انتخاب السيدين الكبيرين محمد بن أحمد الشامي، وعبد الله بن إبراهيم ، والقاضي النبيل سعد بن محمد الشرقي ، فودّعهم الإمام بعد أن زَودهم بكل ما يجب لهم في رحلتهم، وكان ابتداء سفرهم من مقام الإمام في اليوم السادس والعشرين

---

(١) وهي الآن ميناء اليمن الزاهر ومظهره الحضاري الأخاذ

من شهر ذي الحجة الحرام سنة ١٣٢٦[1] واتجهوا إلى الحديدة وقوبلوا بكل حفاوة وإكرام، ثم أبحروا إلى الإسكندرية حيث شاهدوا مفاتن المدنيّة وبريقها الأخاذ، ثم واصلوا السير إلى الأستانة، وقد نزل هذا الوفد الامامي منزل التكريم والإجلال والرعاية في عاصمة آل عثمان، واحتفت بهم الحكومة وأولو المقامات العالية فيها، وأقيمت لهم المآدب الفخام في قصور الوزراء، وشاهدوا في هذه المدينة التاريخية ما يبهر الألباب، وبعد مراجعات طويلة ومحادثات شتى قررت الوزارات المسؤولة في الحكومة، حل مسألة اليمن، وإزالة الشقاق، بتقسيم البلاد اليمنية إلى قسمين أحدهما قسم الجبال التي يقطنها أتباع المذهب الزيدي، ويكون هذا لجلالة الإمام وتنسحب القوات العثمانية منه، وفي هذا القسم صنعاء العاصمة ، ومن مدنه المشهورة ذمار وعمران ويريم والطويلة وكوكبان وما عدا ذلك للدولة العثمانية، واشترطوا بقاء مندوب لهم في صنعا مع طابور واحد من الجند العثماني، وعلى الإمام نفقات هذا الطابور، وللإمام الخيار في مقره إن أراد صنعاء فله ذلك وإن أراد غيرها فلا اعتراض عليه، وكان وضع هذا القرار زمن صدارة حسين حلمي باشا، بعد أن شاهد الوفد استقالة الصدر الأول كامل باشا ، وأخذ على وفد الإمام العمل بهذا القرار وأخبرهم إنه قرار الحكومة بعد طول الأخذ والرّد فيه.

وبعد إملاء هذا القرار على الوفد تطورت الأحوال في الأستانة، واشتدت الثورة ضد النظام الجديد، وقامت المدينة العثمانية تطالب برجوع

(١) ذكر هذا الوفد المؤرخ زبارة فقال : في آخر العام وصل إلى الإمام وهو بقفلة غدر عبد الله بن أحمد الملقب بالذعرور ومحمد بن عبد الله الشرفي الملقب مزيقر وهما ممن سجنهم أحمد فيضي ونفاهما مع غيرهما من أعيان اليمن في سنة ١٣١٠ إلى أزمير ورودس فوصلا ومن معهما في آخر هذا العام إلى الإمام من الباب العالي فيها ترغيب الإمام وحثه على إرسال بعض العلماء ممن يعتمد عليهم من خاصة رجاله للمراجعة للسلطان ووزراء الدولة العثمانية فيما فيه صلاح أمور اليمن.

حقوق السلطان والشريعة، وحدثت فتن طويلة، انتهت بعزل السلطان عبد الحميد وإخراجه من عاصمة آبائه في اليوم الخامس من شهر ربيع الثاني سنة ١٣٢٧ هـ وسيق إلى (سلانيك)[١] ببعض أولاده وجلس على كرسي آل عثمان أخوه السلطان محمد رشاد الخامس[٢] وتطورت الأحوال والوفد اليمني يشاهد بعينيه تطور الأيام ، وتبدل التاريخ، ثم سارع الوفد اليمني بالأياب في أواخر شهر رجب بعد أن زاروا رجال السلطان رشاد وحظوا بمقابلة جلالته بين مظاهرالعطف والاحترام، وما طلع هلال شهر رمضان من هذا العام إلاَّ والوفد اليمني في صنعاء، وقد قابله الوالي العثماني الجديد حسن تحسين باشا وأنزل الوفد في بيته ساعة وصوله.

والأحوال هادئة في زمن ولاية هذا الوالي، فقد كان على جانب عظيم من العقل والذكاء، وحب الأصلاح، أستطاع بذلك أن يخمد النيران المشتعلة ، واختلطت رجال الإمام برجال السلطة العثمانية، واحترم كل فريق الآخر وكانت أوامر الإمام تنفذ وتقرر في كل مكان من اليمن، وكان النَّاس يقدمون كثيراً من الواجبات المالية إلى الإمام، فلا يعترضهم الوالي العثماني.

وكانت الأمور القضائية تسير على وفق منهاج الشرع بدون معارض حتى تبدل هذا الوالي ، وجلس على كرسي الرياسة خلفه فتطورت الأحوال[٣].

---

(١) مدينة رومية قديمة واقعة في جنوب مقدونيا على بحر الأرخبيل ويبتدأ منها طريق حديدي يصل إلى الصرب ومنها إلى جميع أوروبا.

(٢) هوالسلطان محمد رشاد الخامس ولد سنة ١٨٤٤ وكان توليه بعد خلع عبد الحميد ومن بعده لم تر الدولة العثمانية صبراً وتكالب عليها الأعداء وكانت سنة ١٩١٨ قبيل استسلام تركيا للخلفاء بأشهر.

(٣) كان عزل حسين تحسين باشا في أوائل سنة ١٣٢٨ واستبدل به الوالي محمد علي باشا يقول عنه المؤرخ زبارة: كان طائشاً تائهاً متجبراً فظاً غليظاً عامل الناس بالعنف والشدة وبالغ في معاقبة=

وفي الشهور الأولى من سنة ١٣٢٨ هـ دارت رحى الحرب بصورة عنيفة في بلاد الشام، وبعد معارك حامية الوطيس تمكن الجند الإمامي من الإستيلاء على هجرة (فلله)[١] مقر الداعي القاسمي، وسقطت الحصون الشامية والمحلات الهامة، ووقع في الأسر، ثلاثة من أعوان الثائر[٢]، هم مصدر حركاته وسكناته، والعامل الوحيد في تدبيره وتدميره، وأرسلوا إلى الإمام فكان إنزالهم في شهارة تحت الرقابة مع ما لاقوه من عطف الإمام، وحسن معاملتهم، وكان هذا الحادث الذي قضى على ثورة القاسمي والقبائل الشامية في شهر رجب سنة ١٣٢٨هـ.

وفي هذا العام وصل إلى صنعاء زمرة نحو ثلاثين رجلاً من الأوروبيين، وترددوا في أزقة صنعاء وأماكنها بأساليب الحرية، وإطلاق العنان، فاشتد غضب أهل اليمن، والتهبت أدمغتهم، وكثر كلام الناس في هذا الحادث الذي لم تعهد البلاد له شبيهاً، ولولا يقظة السلطة العثمانية في صنعاء، لكانت لهذه الزمرة خاتمة تجر إلى مشاكل وأحداث.

وفي شعبان من هذا العام أرسل جلالة الإمام السيدين الكبيرين عبد الله بن إبراهيم والضمين (إلى جبل برط) لإصلاح قبائل الجبل واستنفارهم إلى الجهاد، وحل مشاكلهم التي يتطاحنون من أجلها على الدوام.

وفي ذي القعدة الحرام، من هذا العام تحول الإمام إلى (حرف سفيان) ثم تحول إلى (ذيبين)[٣] وحصن ظفار ثم انتقل إلى (خمر) واستقر

= من نقل إليه أنه متصل بالإمام وحكامه.

(١) هجرة في جماعة من بلاد صعدة.

(٢) يذكرهم المؤرخ زبارة بالأسماء وهم: حسن بن حسين عدلان الفللي وزير القاسمي وظهيرة وحاكمه القاضي محمد الشاذلي والثالث يسمى شائم.

(٣) ذيبين: مدينة بالشمال الغربي من صنعاء بمسافة ٩٤ ك.م بها مركز ناحية ذي بين التابعة لقضاء عمران (المقحفي ص١٦٩).

بها وسنبين القصد من هذا التجول في ما يلي هذا عند الكلام على حوادث سنة ١٣٢٩ هـ وربطها بمقدماتها واسبابها، وبهذا انتهى الفصل الثاني.

(الفصل الثالث)

هدأت الأحوال وأطمأت النفوس نوعاً ما زمن ولاية تحسين باشا وحدثت في هذه الفترة أحداث هامة منها القضاء على ثورة القاسمي، والإستيلاء على أهم ما في يديه من بلدان وحصون.

ومنها ظهور مبادى دعاية محمد بن علي الإدريسي في شمال تهامة، في مقاطعة صبيا وأبي عريش، وسنعقد فصلاً للإمارة الإدريسية وأحداثها وتطورها ومبادىء نشؤوها وما انتهت إليه، فذلك من أعظم العبر، ومن ألوان التاريخ الذي لا يجوز إغفاله.

ومنها إنتشار حكام الإمام في طول البلاد وعرضها، الأمر الذي ما كان أحد يقدر وقوعه، فلما ارتحل تحسين باشا وخلفه كامل باشا متصرف تعز، ثم أعقبه الوالي العسكري محمد علي باشا [1]، وكان هذا الوالي الجديد جريئاً مغروراً قليل الآناة، فألهب البلاد ناراً، وأضرم الفتن، بسوء إدارته، وأخذ في التقاط من يتهمهم بموالاة الإمام، وأراد أن يطبق في البلاد الإدارة العرفية والأحكام العسكرية، فمن الناس من سجن في أفظع السجون، ومنهم من ضرب بالسياط، ومنهم من مزقوا ماله، ومنهم من أعدّوه للشنق والإعدام، فارتاعت القلوب، ووجلت وأشفقت النفوس وهلعت، واستطارت الألباب، وتحيرت ولم يجد الإمام سبيلاً لعلاج هذه الحالة غير إمتشاق الحسام، ومقابلة الظالم بالسوط حتى يفتح الله وهو خير الفاتحين.

ولكثرة التقلب الذي أصاب الأستانة وعدم استقرار حكومة آل عثمان

---

(١) سبق ذكره.

لمـا كـان هنـاك من تجـاذب واختـلاف بين رجـال جمعيـة الاتحـاد والتـرقي، وخصومهم السياسيين[1]، كان إهمال أمـر اليمن، وتناسي مـا أبرمـوه مع وفـد الإمام بالأستانة.

وأخذت الإدارة العثمانيـة ترهق الـرعية بـالعسف والتنكيل والمصادرات، فكـان ذلـك أكبـر بـاعث على إعـادة صفحـة من صفحـات الحـروب، انتصـرت فيها الحقوق الوطنية، وانتقمت من الظالمين أسوأ الإنتقام.

وقـد كان من الإمـام إيفاد من ذكـرنا من رجـال جلالتـه إلى جبـل بـرط لإستنفـار قبـائله إلى الجهــاد، وقـابلهم الإمــام إلى الحـرف، وتحــول إلى ذيبين، حيث استنفر رجال حاشد، وسفيـان، وأرحب، وعيال سـريح، وجبـل عيال يزيـد، والتف حول الإمـام كرام السـادات وعيون الـرؤساء ونشط النـاس للجهاد، وانثالوا من كل صوب للجلاد، وكانت البلاد تشعـر بخطر يتـراكم، وجور يتعاظم، ويوقنون أن السلطة التركية مجدِّة في أمرهـا بخطوات متتـابعة، وان لوناً من ألوان السياسـة الجديـدة في الحكم قد بـدأ يطهـر ويشع، وذلـك تجنيد جيش نظامي من الأمة اليمنية يسمى (بـالملة)، وهي فكرة دقيقـة جدًّاً، والنَّاس في كل زمن ومكان لا يتفقون على غـاية واحـدة ولا يزالـون مختلفين، فكـان هذا كله سبباً لما نقصـه عليك، من عـظام الحـوادث، واضـرام نيـران الكـوارث، ونشير هنـا أن الأمير محمـد بن علي الإدريسي بعث بـرسـالـة إلى الإمام، يحضّه فيها على منازلـة الأتراك ومنـاوأتهم، وتشديـد الضغط عليهم، وكانت الظروف السياسية الحـرجة تقتضي مناجزة الأتراك بكـل وسيلة ممكنة، فـانتهـز الإمـام الفـرصــة، وأوفـد من قبله القـاضي الأديب حسين بن أحمـد

(١) ما كاد يعلن أصحاب جمعيـة الاتحاد والترقي الدستور باسم الوطنية والحرية حتى هبّ الأعـداء من صليبيين ويهود ومـاسونيـين في الانقضاض على الـرجـل المريض وكثـرت الاغتيالات واطيـح بعبد الحميد وعين بدله محمدرشاد فلم يدم في الحكم طويلاً وهذا معروف في كتب التاريخ.

العرشي إلى (صبيا)[1] مقر الإمارة الإدريسية وأخذ الإدريسي يعدّ العدد، ويهيء الأسباب لضربة الأتراك في عسير[2]، وما يتصل بها من مواقع تهامة الشام، وكان أول تفكير تمّ الرأي عليه، وأجمع العزم على تنفيذه، هو القيام بحركة تطويق كبير على صنعاء، عاصمة البلاد، ومستودع الذخائر، ومقر الإدارات العليا للبلاد، ولكن هذا التطويق والحصر الهائل يفتقر إلى جهود كبرى، ورجال وعتاد وتدابير دقيقة إذ لا يؤمن أن تزحف قوة من غرب البلاد أو جنوبها، أو تتجمع القوات المبعثرة في أوساط البلاد، فتقوم بعمل حاسم لذلك كان إجالة الرأي والإمام معروف بالأصالة في الرأي والدقة في التطبيق والحزم في الأمور، فكانت الخطة العسكرية المحكمة أن ارتأى الإمام، تجريد جيش إلى (يريم) [3] في جنوب صنعاء على مسافة أربعة أيام، ليشغل بال من في ذمار ورداع [4] ويريم، ويحول دون نجدة تأتي من مدينتي (إب) (أو تعز) وملحقاتهما، وتجريد جيش إلى (حراز) في غرب صنعاء على مسافة يومين منها ليقطع ما قد يأتي من الحديدة وتهامة، ويعمل في بلاد حراز إذ أنها موبؤة، ففيها طائفة من القوة العثمانية، ومن أهلها طائفة من الباطنية ، متحمسة في نصرة الأتراك متفانية في سبيل تأييدهم، وأوشاب من غيرهم، والطريق الموصلة بين صنعاء والحديدة تشق جبال حراز صعوداً وهبوطاً، وأيّة نجدة تأتي فمناجزتها في هذه البلاد أيسر من المناجزة في غيرها من البلاد المطمئنة الأرجاء.

وتجريد جيش إلى (حجة) في الغرب الشمالي ليناهض القوات المبعثرة هناك ويحول دون ما قد يتسرب من منافذ تهامة إلى حجة وما وراءها.

---

(١) من مدن تهامة ولها أعمال كثيرة وفرضتها جيزان (الحجري ص٤٦٢).

(٢) عسير مدينة معروفة تضم عدة جهات.

(٣) يريم : بلدة معروفة من يحصب تضم عدة عزل وأقسام انظر الحجري ص ٧٧٩.

(٤) رداع : مدينة بالشرق من ذمار بمسافة ٥٣ ك.م (المقحفي ص١٧٥).

وكـان فتح ميـدان في عمران وشبـام وكوكبـان، لمضايقـة القوات المـرابطة في هذه الأماكن، وهذه البقاع شمالي صنعاء على مسافة يوم واحد.

وكـان فتح ميـدان العاصمـة الـذي تحقق بـه تـطويقهـا وفصلهـا عن سـائـر البلاد وحصرها حصراً دقيقاً، ومهاجمـة العثمانيين إلى أربـاضها ممـا أضطرهم إلى إقفال الأبواب،وتحصين أسوارها، ووضع ألغام في أفنائها.

وسنلم بـالحديث إلمـاماً مقتضباً عن كل مـا جرى في الميـادين التي ذكـرناهـا، وسنؤثر الاجمـال لا التفصيل والاشـارة دون التطويـل، ليتم لنـا مـا نـرمي إليه من ربط الحـوادث وتعليلها، وبيـان آثارهـا في أسلوب متسق وبيان مجتمع غير مفترق.

فـأما ميـدان (يـريم) فـانـه كـان تحت قيـادة السيـد الكبيـر عبـد الله بن إبراهيم والشريف المحنـك عبد الله الضمين[1] فقـد اتجهت الجنود من شـرق العاصمة حتى جاست خلال ديار خولان والحـدا، وانتشرت إلى معبـر وحوالي ذمـار، ونفـذت إلى أطـراف بـلاد (يـريم) ففي خـودان[2] دارت معـركـة بين القـوات الإمامية وبعض أعدائهـا، ثم في (عراس) وفيـه باطنيـة جرت معـركة حامية الوطيس، وتغلب عليها الجند الإمامي.

ثم كـانت معركـة (يريم)، وكـانت القوة العثمـانيـة، قـد تحصنت بهـا وناجزها الجنود من كـل جانب، وتم احتـلالها بين الـدمـاء والـدمـوع، وبين ضـرام النيران وأهـوال الطعـان، والحروب شـرور، مذ كـانت في المجتمعات الإنسانية.

ومـا انسلخ شهر صفـر إلاّ وقد تخلت بـلاد يريم من القـوات العثمـانيـة واستولى المجاهدون على فوهات الطرق، وأطراف البلاد منها.

(١) هو عبد الله بن محمد الضمين أحد قواد الجهاد في مناضلة الأمراء.

(٢) خودان: جبل من بلاد يريم على مسافة أربعة أيام جنوباً من صنعاء.

وأما ميدان حراز[١]، فقد قاده أربعة عظام، من خيرة رجال الحروب، وتوزعوا أقسام البلاد الحرازية، وهي مترامية الأطراف، وبعد أن تجمعت القوات إلى الحجرة[٢] وعانز[٣] من الحيمة، أخذت تتسلق جبال حراز الشاهقة، من جوانب متعددة تبعاً لخطة متفق عليها، وتم للمجاهدين بعد بضعة أيام الإستيلاء على عزلة بني الخطاب[٤] وبيت[٥] المدعي وانشروا في حصبان[٦]، وارتفعوا إلى جبل مسار[٧] الجبل الحصين الوعر المتسع الجوانب وامعنوا في خططهم، وهاجموا وثبتوا حتى بلغوا إلى (الهجرة)[٨] وعتارة[٩] ورشقوا (مناخة)[١٠] مركز هذه البلاد برصاصهم، وحالوا بينها وبين أجزاء البلاد، وتدفقوا على (الشرقي)[١١]، أماكن الباطنية وحصونهم المتينة، وجبالهم الشاهقة الخصبة، وتم لهم في هذا الميدان الإستيلاء على قسم (لهاب[١٢] وهوزان[١٣]، ولم يقفوا عند هذا بل أرسلوا طلائعهم إلى بني إسماعيل واحكموا خطة حراسة الطريق الموصلة بين صنعاء والحديدة، وشغلوا بال القوة التي ترابط في مناخة وشبام[١٤]، وانتشروا في آفاق حراز،

---

(١) حراز: أحد قضوات صنعاء بالغرب منها بمسافة ٨١ ك.م.

(٢) الحجرة: قاع فسيح من أعمال الحيمة الخارجية به مجموعة من القرى.

(٣) جبل واسعة ذات قرى وحصون من الحيمة الخارجية كما ذكر.

(٤) عزلة من قضاء حراز (الثور ١٣٧).

(٥) قرى عزلة بني الخطاب.

(٦) عزلة من بلاد حراز وهي تشمل عدة قرى (المقحفي ص١٢١).

(٧) عزلة معروفة من حراز. انظر (الثور ص ١٣٣).

(٨) من عزلة هوزان من حراز (الثور ص ١٣٦).

(٩) من عزلة مسار السابق ذكرها.

(١٠) بلدة معروفة قال عنها المقحفي تقع بالغرب من صنعاء بمسافة ١٢٠ ك.م تتوسط بينها وبين الحديدة.

(١١) عزلة من بني يوسف وأعمال الحيمة الداخلية والربع الشرقي من جبل حراز أيضاً (المقحفي ٢٣١).

(١٢) لهاب: حبل ومخلاف من قضاء حراز.

(١٣) حي من حمير ومخلاف عامر بالسكان من مخاليف حراز.

(١٤) هو شبام حراز جبل مطل على مناخة من الجنوب وهو موضع حصين.

وتداعت البلاد تحت أقدامهم، ولم يبق فيها مقاوم عنيد من أهلها غير الباطنية .

وأما ميدان حجة، فإن أعماله أدار دفتها السيد يحيى شيبان[1]، وامتد العمل في كثير من ملحقات حجة، ففي مسور، ومهابط حامياته العثمانية تعددت المعارك، واشتدت المقاومة، وسقط المضمار[2]، وبيت عمر وبيت فائز[3] والمصنعة[4] والرميح[5] والكلالي الأعلى والأسفل ودارت معركة في بيت عذاقة وفي الشراقي .

وفي الظفير[6] ووقع في الأسر كثير من رجال هذا الميدان العثمانيين، واشتدت الحرب في الظهرين[7] وصعصعة، وخنعت البلاد، وانقادت، حتى هرع كثير من مشايخ حفاش، ومن يتصل بهم يقدمون الولاء والاخلاص للإمام على ضوء هذه الحوادث.

وأما ميدان عمران فقد هاجم المجاهدون مدينة (عمران) وأتوا على أرباضها وحصروا من فيها وكذا جرت معارك في شبام وكوكبان ومكر [8] .

وفي جميع هذه المواقع انهزم فيها العثمانيون وقاسوا أليم الضربات ، وتحملوا أنواع التنكيل الذي تجره الحرب بطبيعتها ومعناها.

---

(١) هو يحيى بن ناصر بن أحمد شيبان ولد سنة ١٢٩٨ بحصن الظفير وأخذ عن العلماء واستعمل في قبض الواجبات ثم جرت، بينه وبين الإمام مشادة أدت إلى اعتقاله ثم الإفراج عنه وله في جهاد الأتراك حوادث تحدثت عنها كتب التاريخ توفي سنة ١٣٤٤ (نزهة النظر ص ٦٤٨).

(٢) المضمار: بلدة من عزلة هوازن ناحية مناخة.

(٣) ويقال لها بيت الغائش من عزلة الجبل (الثور ١٣٨).

(٤) من العزلة السابقة (الثور ١٣٨).

(٥) مواضع من تلك الجهات.

(٦) جبل شامخ في الجهة الشمالية من حجة.

(٧) من ضواحي حجة.

(٨) حصن يحاذي كوكبان ويطل على الطويلة (المقحفي ص ٥٥).

وأما ميدان صنعاء، فهو الهدف الذي لأجله انتشرت القوات في كل جانب هام من البلاد، وقد اسندت القيادة في هذا الميدان للسيد الزعيم النبيل أحمد بن قاسم حميد الدين، فأسرع إلى وضع الخطة الكفيلة بالمراد، من وضع صنعاء تحت ضغط الحصر، وخوف التطويق ، وكان هذا الميدان أحفل الميادين بالرجال والسلاح والمال ، وتناول من البلاد المتناثرة حول صنعاء، بني حشيش(١) وبني الحرث(٢) وهمدان(٣) وسخان(٤) وبلاد البستان(٥)، فكل هذه البلاد وهي نواح(٦) واسعة، امتلأت بالرجال.

وفي الروضة(٧)، على مسافة ساعة واحدة من العاصمة، جرت معركة بين الفريقين من أهول المعارك وأحماها وطيساً، وقضي على كثير من مبانيها.

وفي شعوب(٨) وهو مزارع ملاصقة لسور صنعاء وقرى أرباضها، جرت حروب وأهوال وفي طيبة(٩) برأس وادي ضهر كانت حوادث انتهت بتخريبها، وفي قلعتي عضر(١٠) في الجانب الغربي حدثت معارك ذات

---

(١) قبائل تلحق بخولان الطيال وهي الآن تابعة للواء صنعاء وهي ثمانية أقسام (المقحفي ص١٢٠).

(٢) تقع شمال صنعاء بمسافة ٥ ك.م وهي خمسة أقسام انظرها (نفسه ١٠١).

(٣) تقع في الشمال الغربي من صنعاء وتضم عدة مناطق (الثور ٥٧).

(٤) ممتدة من قاع صنعاء الجنوبي إلى ما يحادد خولان العالية (المقحفي ص ٢١٣).

(٥) هو الاسم القديم لمخلاف بني مطر غربي صنعاء (المقحفي ص٥٢).

(٦) أي فسيحة.

(٧) ويقال لها أيضاً روضة أحمد شمال صنعاء بمسافة ٥ ك.م إحدى منارات المدينة.

(٨) ضاحية صنعاء الشمالية (نفسه ٢٣٥).

(٩) حصن مشهور مطل على وادي ضهر بمسافة ١/٢ ٧ ك. م. يعرف قديماً بدورم.

(١٠) قرية في غربي صنعاء أسفل جبل يحمل اسمها مرتبطة بصنعاء (المقحفي ص٢٨٨).

صـول وبأس وفي الخسمـة[1] ومند[2] ومتنـة[3] والقاهـر[4] والسـرارة[5] والمحـازيب[6] والقليس[7] جـرت حـروب وخـطوب، وهــذه كلهـا بلدان معروفة تابعة لصنعاء أقصاها على مسافة يوم واحـد يبعد عنها، وامتـدت الجنود المحاصرة إلى(حدة)[8] و(وعلان) و(خـدار)وما يـلابس هذه المـواقع من قـرى صغيـرة، وآكـام حقيـرة مثـل ضبـر خيـرة والخميس[9] وبيت الزيادي[10]، وهـاجم المجاهـدون قلعـة جبـل (نقم) وهـو جبـل صنعـاء المـطل عليهـا من الجهة الشرقية.

وتحمس المجاهدون في منازلة العثمانيين في أرباض صنعـاء، واحتلوا الأماكن التي سردناهـا، وسيطروا على الـطرق من كل جهـة، وقطعـوا المدد من كل سبيل، وحـالوا بين صنعـاء وغيرهـا من البلاد، وأصبحت لا تملك من أمرها شيئاً.

وقد قابل الأتراك هذه الحركات العسكريـة الكبيرة، بـرباطـة جأش، في صنعاء فصبروا وسهروا على حراسـة الأبواب، ومـداخل العـاصمة وعـوراتها، وبذلوا كل جهودهم في الـدفاع عنهـا وأصابهم وأصـاب أهلها في سبيـل ذلك مـا هو ضـروري الوقوع في مثـل هـذه الـظروف، من خـوف وجـوع وارتفـاع

---

(١) من مخلاف بني شهاب الأسفل قضاء صنعاء (الثور ٦٢).

(٢) مند: من مخلاف بني شهاب الأسفل قضاء صنعاء.

(٣) قرية بالغرب من صنعاء في حقل سهمان ناحية البستان (المقحفي ص٣٦١).

(٤) حصن في مدام ناحية همدان صنعاء.

(٥) قرية في جبل حضور من ناحية بني مطر.

(٦) من قرى خولان الطيال من عزلة حضر.

(٧) من قرى جبل النبي شعيب ناحية بني مطر (المقحفي ص٢٣٦).

(٨) حدّة: قريـة من حـازة بني شهـاب في نـاحيـة بني مـطر غـربي صنعـاء بمسـافـة ٥ ك.م (المقحفي ص١١٢).

(٩) من بلاد الحيمة.

(١٠) من قرى بلاد الروس على مقربة من نفيل يسلح.

أسعار، ووباء وفقد الحاجات المعيشية، وكلما حاول الأتراك أن يعملوا ليشقوا الطرق، ويفكوا الحصر ردّوا على أعقابهم خاسرين، وسقط ما في أيديهم وتدفقت الأسرى إلى الإمام من الميادين كلها، وأخذ المجاهدون من المغانم، ما لا يدخل تحت حساب، وسيقت كثير من المدافع والأسلحة التي وقعت في أيدي المجاهدين إلى الإمام، وغصت معتقلات الأسر بالوافدين عليها كل هذا والإمام في (خمر) يدير دفة الحرب، ويصدر الأوامر إلى جميع الميادين، ويعقب على كل الأحداث، ويرسل الأمداد ، ويضع الوسائل التي تعين رجال الجهاد، وقد كان من سدادة الرأي عدم الاذن بمهاجمة صنعاء، وأخذها عنوة، لما يتوقعه الإمام من معرَّة الجيش عند أول خطوة ، وما يصيب المستضعفين من ويل وضر في مثل هذه الأحوال لذلك (رأى) أن المطاولة أسلم، وان العدو إذا لم تأته نجدة تستحق التقدير من وراء البحار، فهو لا شك مستسلم، وإن طال الأمد عليه.

وقد تبع هذه الحوادث استسلام حامية بوعان[1] وبيت السلامي[2]، ونشوب معركة مهيلة في (بيت ابن مهدي) في الحيمة، وكان هذا العمل الشاق العظيم في خلال شهري محرم وصفر وشطر من ربيع الأول من هذا العام عام ١٣٢٩هـ.

وعظمت المنة بما أتاح الله من إرغام الأعداء وتشتيت قواهم، وخذلانهم، ووقوعهم بين أسير يساق، وقتيل تمزقت منه الأوصال، ومنهزم لا يلوي على شيء، ؛ ولا يدري إلى أية غاية يرمي، ومحصور قد أحيط به فهو حيران يتخبط في حيرته، ولا يجد سبيلاً ينجيه من محنته، وذلك أثر البغي وعاقبة العدوان.

---

(١) بوعان: من قرى بني مطر تمر فيها السيارات من صنعاء إلى الحديدة.
(٢) من قرى الحيمة الخارجية (المقحفي ص ٢٠٩).

ولما علمت الدوائر العلياء في الأستانة بما وقعت فيه رجالهم باليمن، سارعت إلى بعث حملة عسكرية كبرى، وأسندت قيادتها إلى رجل من خيرة رجالها (أحمد عزة باشا) وزودوه بالذخيرة والمؤن، فأسرع على أمواج البحار إلى ميناء الحديدة، وما لبث أن اتجه تواً في الطريق إلى حراز يسوق أمامه قوات عنيفة، وتجهيزات تامة النظام، فاضطر المجاهدون إلى الانكماش والتراجع، إلى الحجرة من الحيمة خشية أن يفاجئهم خطر، وهم أشتات متفرقون، وفي بلاد قد تعين الغريب الواغل على إخوانهم وأبناء شعبهم، وكان تنظيم خطة الحرب على طول الطريق من (مفحق)[1] في الحيمة إلى قرب جبال صنعاء الغربية ففي مفحق ثم في الخميس، دارت معارك حامية الوطيس بين المجاهدين، والحملة التركية، وتلقف لها المجاهدون في بيت السلامي وبيت حصبة[2]، وأصدقوها ضرباً وطعناً، وكانت القوات العثمانية لكثرة عددها، واستكمال أهبتها تتغلب فتشق الطريق وتتقدم بين أهوال الحرب، ونيران القتال، وقد أمتدت الحاميات التركية على رؤوس الجبال من بني سليمان إلى أعلى بني السياغ[3] إلى جبل شعيب، لحماية الطريق، ولمطاردة المجاهدين الكامنين، في هذه الزوايا.

وفي اليوم الرابع من ربيع الثاني، وصلت القوات العثمانية إلى شعبان البروية من بلاد البستان على مسافة خمس ساعات إلى صنعاء، وفي هذا المحل دارت معركة حامية الوطيس بين الفريقين، واشتد فيها العراك والنزال.

ولما علم المجاهدون أن لا قبل لهم برد هذا السيل المتدفق جنحوا إلى الخطة التي تم رأيهم عليها، وتجنبوا الاشتباك مع القوات العثمانية بعد

(١) بلد وحصن في ناحية الحيمة الخارجية (المقحفي ص ٤٠٠).

(٢) من عزلةالمخلافقسم الربع (الثور ٨١).

(٣) عزلة من الحيمة الداخلية.

هـذا في معارك صـادقـة، ونـاوشـوهم على طـول الـطريق، حتى تم للقـوات العثمـانية فتـح أبواب صنعـاء، وفك تـطويقها وتفـرق المجـاهـدون وفـآؤا إلى الإمام إلى (خِمَر) .

وأمـا ميـدان حجـة فقـد إتجـه إليـه سعيـد بـاشـا أحـد رجـال الأتـراك المجربين، واستعاد البلاد بحملة قادهـا من تهامـة، ونفذ بهـا من أغوار البـلاد إليها.

واضـطر من في يـريم إلى تخليـة البـلاد، خشيـة أن تضغط عليهم قـوة تركية، وهم في بعد من مركز المدد والأعانة.

وتراجعت قواد الجيـوش إلى الإمام، وفي خمـر استجم كثيرَ منهم، بعـد أعمال مضنية، وحوادث ذات شأن.

أمـا قـائـد الحملة الجـديـدة عـزة بـاشـا، فقـد كـان من رجـال الحنكـة والمهـارة السيـاسيـة، ومن الـزعمـاء الأفـذاذ، وممن يعـرف ان المخـاطـرة والمجازفة بـالقوات والـرجال لا يستفـاد من ورائها شيء غيـر الخسران والنـدم والفشل، وأراد أن ينتهج سياسة في السيـر جديـدة، فلان جـانبه، وتغـافل عن كـل ما مضى وذهب، ولم يعـاتب أحداً على ميـل قلبه ولا آخـذ[1] احداً كـان قد حمل السلاح عليه، وفـرق الأموال واستـدعى الرؤسـاء وأدناهم منـه، وأدرّ عليهم أخـلاف العطايـا ، حتى هدأت النفـوس الثائـرة التي أرعبهـا وأخـافهـا محمد علي باشا ، بطيشـه وبطشـه، ولما اطمـأنت الشؤون، وساد السكـون، أخـذ هذا الـرجل المـاهر، يضـع خطة تنتهي بهـا الحروب في اليمن، وتسلم الحكـومة العثمـانية المنهـوكة القـوى، المهددة بـالأخطار، في أصـل دارهـا، فيكون قد أسدى يداً لحكومته تشكره عليها.

فـأخذ في مـراسلة الإمام، وفي إبـداء الرغبـة الصادقـة في لم الشعث،

---

(١) آخذ وواخذ بمعنى عاقب.

وتضميد الجراح، وجمع الكلمة، وإطفاء نيران الفتنة، والإمام كما قررناه غير مرة لا يبغي غير مقاومة الظلم، ومحاربة العدوان، لتكون كلمة الله هي العليا، ولتكون الشريعة الغراء هي المرجع للناس في أموالهم وأعراضهم ودمائهم، لذلك كان يخف إلى كل رأي يدعو إلى سلم، وتقوى وعدل وحق، ففي آخر جمادي الثانية قدم إلى (خمر) مقر الإمام، رجلان من أكابر العاصمة وعلمائها المولى حسين بن علي العمري والسيد الكبير قاسم بن حسين العربي أبو طالب، وخاضا في شؤون الصلح ودرسا مع الإمام، وجهة نظر الفريقين، ثم عادا إلى صنعاء لتمام دراسة الموضوع مع عزة باشا.

وتبع ذلك خروج عزيز[1] بيك أحد رجال عزة باشا إلى خمر، وكان الإمام، قد فك أسر كثير من أسرى الحرب التي يعود وزرها إلى جهالة الوالي التركي محمد علي باشا.

وفي خلال هذه المفاوضات، تقاربت وجهة النظر، وفك الإمام بقية الأسرى وأعيدوا إلى عزة باشا، وها نحن نسرد لك حديث الصلح مبينين جميع ما احتوى عليه، ونعلق عليه بكلمة قصيرة على عاداتنا في هذا الكتاب.

---

(١) هو القائد المعروف عزيز بك علي المصري الذي تذكر له أياد بيضا في نصرة المسلمين.

(صلح دعان)

دعان قرية من قرى الجبل المشهور بجبل عيال يزيد واقع في شمال صنعاء على مسافة[1] منها، وقد سمينا هذا الصلح بصلح دعّان لانبرامه فيها، ولاتفاق زعيمي المتحاربين في ساحاتها، فقد اختلفت الرسل بين الإمام وبين (عزة باشا) وتعددت المخابرات وتمت دراسةالموضوع من كل وجوهه، وما أطل شوّال من هذا العام، إلّا والأمور تبشر بخير عظيم، وفوز كبير، والسلطتان تتفاهمان تفاهماً يحفه الود والإحترام، وحسن الظن، والرغبة الملحة إلى حقن الدماء، وإصلاح شأن فئتين من المسلمين عظيمتين، ورغب الوالي العثماني عزة باشا، أن يجتمع بجلالة الإمام ويتحدث معه مشافهة، فكان من الإمام الموافقة على ذلك الرأي ، وعين موضع الإجتماع، مدينة خمر المحل الذي أقام فيه الإمام من آخر سنة ١٣٢٨ هـ إلى هذا التاريخ، ثم بدت أمور اقتضت تغيير هذه الفكرة ذلك أن خمرا بلدة من بلدان قبيلة حاشد، وهذه القبيلة كثيراً ما تركب قرونها، وتحدث الأحداث، وقد خف بعض رؤسائها إلى الإمام يعلن في غير استحياء ولا وجل أنهم معارضون في عقد الإجتماع في بلد من بلدانهم لأن بعض رؤسائهم ينالون عطاءً من السلطة العثمانية، فارتاى الإمام تحويل الرأي، وكان (دعان) البلد الذي شاءت الحظوظ والمقادير، أن يسجل فيه أكبر صلح عقد في اليمن، ويجتمع فيه عظيمان من المسلمين، فاختص بهذا الشرف، وأصبحت هذه القرية المغمورة، بلدة تاريخية، يذكر اسمها ما بقي التاريخ .

وبعد أن أعد الإمام ما يجب إعداده، وتحول إلى دعان ، أرسل أخص رجاله إلى عمران لمقابلة الوالي وتكريمه، ووصل الوالي إلى دعان يوم الأربعاء الرابع والعشرين من شهر شوال سنة ١٣٢٩ ، وقد صحب الوالي

---

(١) بياض في الأصل ومعجم البلدان للمقحفي ص ١٥٦ تبعد عن عمران بمسافة ١٨ ك.م.

نخبة من رجاله نذكر منهم عصمت[1] باشا الذي هو الآن رئيس جمهوريةتركيا الأنقرية[2] (فسبحان مقسم الحظوظ) ، ولبث الوالي ثلاثة أيام وفي صبح يوم السبت أصبح آيبا بنفس مطمئنة، وعمل رابح، وصفقة ناجحة، وقد تحادث مع الإمام محادثات طويلة أسفرت عن وفاق وحسن قصد من الفريقين ولقوا من الإمام كل حفاوة وإكرام، وعناية وإقبال وشيعهم عند عودهم مسافة غير قصيرة، وتعارفت الوجوه وزال الخلاف، واستبشرت النفوس، وهزها المرح والإزدهاء، واعلنت الجموع اغتباطها ورضاها.

وهذا نص الصلح الذي أجمع عليه الفريقان وانتهى به تاريخ الحرب اليمنية العثمانية، وقرت السيوف في أغمادها بعد نضال طويل:

(نص الصلح)[3]

بسم الله الرحمن الرحيم

المادة الأولى :

يصير الإئتلاف بين حضرة سمو الإمام المتوكل على الله رب العالمين وبين حضرة صاحب العطوفة رئيس عموم أركان الحرب، وقومندان القوة اليمانيةعزة باشا المأذون من طرف الحكومة السنية على الوجه الآتي، ويكون تصديقه من المرجع العالي وذلك في ما تصلح به أحوال جبال اليمن الآتي بيانها، التي تجري فيها الآن إدارة الحكومة السنية العثمانية، فعلاً وهي: لواءصنعاء وما يحويه من اقضية صنعاء وعمران وكوكبان وحجة وحراز

---

(١) هو عصمت.

(٢) نسبة إلى أنقرة عاصمة تركيا حالياً.

(٣) أورد المؤرخ زبارة نص هذا الاتفاق بإيجاز في أئمة اليمن ق ٢ ص ٢٠٤.

ما عدى صعفان وبني مقاتل ثم آنس وذمار ويريم ورداع ومن بلهاء تعز من الزيديين ان كانوا نصف الناحية فصاعداً.

المادة الثانية :

يكون إجراء الأحكام الشرعية بين المتحاكمين ممن يسكن البلدان المذكورة آنفاً في جميع المواد، وإقامة الحدود على كل مرتكب لأسبابها، كل ذلك على المذهب الزيدي ويكون تعيين الحكام وتبديلهم من طرف الإمام، وذلك بأن يكتب الإمام إلى الولاية كتاباً بتعيينهم وتطلب الولاية تصديق ذلك من الأستانة على أن لا تتأخر مباشرتهم الوظيفة من عند أن يكتب الإمام، وتنفذ الحكومة جميع الأحكام التي تصدر من حكام الشرع ابتداءً ومن حكم الاستئناف ان لم يقنع المحكوم عليه وطلب الإستئناف.

٣ ـ إذا تظلم أحد من محكمة الإستئناف واشتكى إلى الإمام فيسأل سمو الإمام الحكومة عن حقيقة ذلك وإذا ظهر صدقه على صحة تظلمه أعيدت المحاكمة.

٤ ـ محكمة الاستئناف تشكل في مركز الولاية من رئيس وأعضاء ينتخبهم الإمام وكما يصدق تعيين الحكام يصدق تعيينهم.

٥ ـ إذا حكمت محكمة الاستئناف المشكلة على الوجه المتقدم ذكره بالقصاص الشرعي الذي هو إعدام شخص قاتل، قد استحق الحكم عليه بالإعدام شرعاً فعلى الحاكم السعي أوَّلاً في طلب العفو عن القاتل من ورثة المقتول أو إرضائهم بقبول الدية من القاتل، فإن لم يساعدوه رفعت المحكمة الاستئنافية الأمر إلى الأستانة، وطلبت الأذن بإجراء القصاص بعد التصريح بأن الحاكم قد بذل مجهوده عند الورثة في طلب العفو أو قبول الدية فلم يعفوه بشرط أن لا تزيد مدة صدور الإرادة في ذلك على أربعة أشهر، من عند إرسال تقرير المحكمة المذكورة.

٦ ـ عند ظهور ما يستوجب تبديل أحد الحكام من سوء حالة فعلى الولاية أن تخبر الإمام بذلك مع تبيين الأسباب الموجبة لتبديله والدلائل الشرعية، وعلى الأمام أن يبدّل ذلك القاضي.

٧ ـ للحكومة أن تنصب قضاة يحكمون بمذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان بين من كان حنفياً من غير أهل جبال اليمن.

٨ ـ إذا حصلت دعوى بين زيدي وآخر من أهل المذاهب الأخرى الإسلامية من غير أهل الجبال يكون الرّجوع في تلك الدعوى إلى محكمة مختلطة تتألف من زيديين وحنفيين وإذا اختلف القضاة في الحكم فالمعتبر حكم القاضي الذي من جهة المدعي عليه.

٩ ـ للقضاة المعينين في النواحي والأقضية أن يتخذوا لهم معاونين من يثقون بهم يستخدمونهم في أمورهم، والمحافظة على أنفسهم، وفي احضار الخصوم على شرط أن لا يزيد عددهم على ستة رجال في النواحي وثلاثة في الأقضية، وعلى الحكومة أن تؤدي لهم رواتبهم بصفة مباشرين أو شرطيين، أما إذا كان هؤلاء غير كافين فالحكومة تمدهم بمعاونين من رجال الضبط بحسب ما يقتضيه الحال.

١٠ ـ ولاية الأوقاف والوصايا إلى الإمام.

١١ ـ تعفو الحكومة السنية عن كل ما سبق من أهالي الجبال المذكورة من الجرائم والبقايا المقيدة إلى تاريخ هذا المقرر، والمقصود من الجرائم هي السياسية، والتي وقعت في أثناء الحروب وتفرعاتها.

١٢ ـ تعفو الحكومة السنية مثل عفوها عن أهل الجبال عن جميع سوابق وجرائم وبقايا خولان ونهم وأرحب مطلقاً، وتعفو عن مقطوعيتهم إلى مدة عشر سنين بشرط توقف أهل هذه الجهات عن كل ما يورث نقصاً في جانب مأموري الحكومة، وعن التعرض لما يخل بالأمن العام فيالطرقات،

فأن حصل من أحد منهم أو من جماعة منهم، مخالفة لما ذكر أدب المخالف بخصوصه بما يستحقه شرعاً، وإذا صدرت المخالفة من أهل بلد أو جهة بالإتفاق، وثبت ذلك عليهم كان تأديبهم وسقطوا من مزية استحقاق العفو في ما بعد.

١٣ ـ لا يطالب أحد من أهالي الجبال المذكورة بشيء غير التكاليف الشرعية الأعشار بالخرص والأغنام وبقية الأنعام بالنصاب الشرعي.

١٤ ـ إذا وقعت شكاية إلى الحكومة أو إلى حاكم الجهة المعين بنصب الإمام من ظلم الجباة والخارصين أو تبين من هؤلاء، شيء من سوء الاستعمال، لزم أولاً تحقيق الأمر من جهة الحاكم، وأكبر موظف في الحكومة المحلية، وما ثبت بوجه شرعي كان الحكم به من الحاكم والإجراء من الحكومة.

١٥ ـ لا مانع لمن أراد أن يعطي إلى الإمام شيئاً بطيبة من نفسه وذلك بأن يسلمه إلى سمو الإمام رأساً أو إلى مأموري الأوقاف أو أمناء الأراضي المرتبطة بالإمامة أو بواسطة مشائخ الدولة المختارين من الأهالي أو بواسطة الحكام.

١٦ ـ للإمام أن يأخذ بواسطة من يأتمنهم حاصلات الأراضي المرتبطة بالإمامة وتأخذ الحكومة السنية أعشارها الشرعية.

١٧ ـ ناحية جبل الشرق التابعة لقضاء آنس المؤلفة من العزل التي هي جبل الشرق وبني قشيب وبني أسعد والمنار وبني خالد وبني سويد تعفى من جميع التكاليف مدة عشر سنين وبعد انقضاء هذه المدة فعليها أن تؤدي للحكومة الأعشار وسائر التكاليف الشرعية مثل غيرها من محلات الجبال.

١٨ ـ يطلق الإمام من عنده من رهائن حواز صنعاء، وهي بنو الحارث، وبنو حشيش، وهمدان، وبلاد البستان، وسنحان، وبلاد الروس،

وبنو بهلول، وكذلك رهائن حراز، ، وأهل عمران.

١٩ ـ تأمين أصحاب الإمام وأصحاب الحكومة، وسائر الناس في ذهابهم وإيابهم بتجارة أو غيرها، وإذا اتهم أحد من الذين يدورون لاكتساب المعيشة بالسعي بما يسلب راحة العموم، قبض وسلم إلى حاكم الشريعة لتحقيق حالة.

٢٠ ـ بعد إمضاء هذا الإئتلاف لا يتعدى طرف على الآخر في ما هو في إدارته الآن، حرر في يوم سابع وعشر من شوال سنة ١٣٢٩هـ وفي سابع تشرين الأول سنة ١٣٢٧ رومي.

هذه نصوص الصلح ومنها تفهم أن أول عقدة انحلت هي الإتفاق على أساليب الحكم، ونظام القضاء الشرعي، وأن الشرع يجب أن يكون المهيمن الأعلى على جميع الشؤون، وهذا ما كان الإمام يرمي إليه وقصارى ما يدعو إلى إقامته، وهذا الصلح قد وضع الخطة التي بها أنتهت المشاكل والحروب، وكفل للأمة الأمن والطمأنينة، والحق والعدل في جميع الشؤون، وبين ما هو للإمام من حقوق، وما يرجع إلى السلطة العثمانية، بنصوص بينة لا غموض فيها ولا لبس ، ونشير هنا إلى أن هذا الصلح قد كان في صالح الحكومة التركية أكثر منه في صالح الأمة اليمنية، وقد يستغرب هذا الرأي، ولكنا نقيم الدليل على ذلك بما ينفي الشك، ذلك أن الأمير محمد بن علي الإدريسي، كانت حركته قد استفحلت في صبيا وأبي عريش، وأغرى قبائل القسم الشمالي من تهامة، وما يجاورها من قبائل الجبال المشرفة على تهامة الشام، على السلطة العثمانية، وكانت قد حدثت معركة حامية الوطيس في جيزان تألب فيها جموع القبائل مسوقة بالدعوة الإدريسية، وفتكت بحامية جيزان، وغنمت مغانم كثيرة ، ثم بعث الأمير الإدريسي ابن عمه السيد

مصطفى إلى (عسير) لمنازلة القوة التركية في (أبها)[1] وأعانته القبائل، وضرب الحصار على أبها حتى أضطرت الحكومة العثمانية إلى الإستعانة بالشريف حسين بن علي، أمير مكة، فقاد حملة قوية من الحجاز في ربيع الثاني من عامنا، هذا الذي نسجل حوادثه، وخرج على رأسها ، حتى فك الحصار عن العثمانيين في أبها، وأخذ الأمير الأدريسي يوطد أقدامه، ويعمل في مناوأة الأتراك، ولايتي هذا حال الأتراك في عسير، وشمال تهامة، تراهم قد وقعوا بين فتنة حاطمة ، وهم أعلم الناس في تلك الأيام بحركة الإدريسي، ومن يمده ويبعثه على مناوأتهم، والوقوف في وجوههم، وهذا كله والسيد الإدريسي يواصل رسائله إلى الإمام يستحثه، ويسرد عليه أنباء ما يقوم به من فتك ، وإلى جانب هذا ما كان قد بدأ يستبين من خطة إيطاليا نحو الحكومة العثمانية، ففي هذا العام بدأت تدعي أن طرابلس الغرب، جميع أقسامه من البلاد التي تعينت لها لتحكمها، وأخذت تطالب حكومة الأستانة بالجلاء عنها، وتهيء أمرها لحكم طرابلس بالحديد والنار، وانتهت هذه الفكرة بما لا يجهله لبيب من مهاجمة إيطاليا لطرابلس ، البلد الأعزل القصي، وساقت إليه الجموع والقوات الحديثة ، وكان ما كان مما لا محل له في هذه الصحيفة مما حفظه الزمن وسجله التاريخ لإيطاليا، وللأتراك، وللأمة العربية في طرابلس.

فكانت الحكومة العثمانية مهددة بالمخاوف واقعة بين أعداء أقوياء، وكانت الأستانة تلتهب بنار الخلاف السياسي بين الأحزاب المتلاعنة ، لا جرم أن صلح دعّان كان رحمة لهم، وعوناً كبيراً لحكومتهم ويداً بيضاء أنالهم إياها الإمام في الوقت الذي كان له مندوحة عن كل هذا، ويشن عليهم الغارات، وهم وسط ظلمة حالكة في كل وجه لا يستطيعون حيلة، ولا يهتدون سبيلاً، وأضف إلى هذا ما كانت حكومة الأستانة تعلمه حق العلم،

---

(١) بلدة مشهورة في عسير فيها مركز بلاد عسير (الحجري ص ٥٤).

من اقتراب ساعة إعلان حرب عالمية، وتعلم أن الحرب العالمية التي أعلنت بعد هذا العام بزمن قصير، كانت تدور لإبتزاز الدولة التركية واستلاب أملاكها في آسيا وأفريقيا، وشرق أوروبا، وكانت العلاقات السياسية الدولية، قد تداعت ووهنت، وأصبحت الحرب على الأبواب، فهذا كله يؤيد ما قلناه من أن هذا الصلح كان في نفع العثمانيين وصالحهم، ويقرر ما رأيناه سابقاً من أن الإمام، كان لا يشتد إلاَّ إذا رأى منكراً من الولاة يفيض وتفهق البلاد به، فيضطر إلى مقاومة العدوان بسابق الواجب، والوثائق التي سردناها قبلاً تعزز هذا، وتشهد له شهادة عادلة، فهذا ما آثرنا تعليقه على صلح (دعَّان).

وهنا نشير إلى مظهر الإرتياح، والاغتباط الذي أبدته الأمة، ولهج به الغادي والرائح، وتفتقت بالإشادة به القرائح فقال الأدباء وأكثروا، وانطلقت الألسنة تحمد الإمام وتؤيده، ونظم الشعر من يحسنه ومن لا يحسنه، ابتهاجاً واستبشاراً، وترويحاً للقارىء، وبعثاً لنشاطه ننقل له صورة مقتطفة صغيرة لأن كتابنا هذا، وان كان تاريخياً إلا أنه بهذا الأسلوب يستدعي نشاط القارىء، ويطرد عنه الملل والفتور والأدب ابن التاريخ، فلا بدع إذا خصصناه ببعض القول وطرف العناية، فمن ذلك ما قاله السيد البليغ إسماعيل بن إسماعيل المروني أحد رجال الحروب وزعماء طوائف الجهاد:

بحميد سعيك عادت الأعياد سراً ليس تشوبها الأنكاد
حسرت عن سود الليال جلابياً فاحيل نوراً غيهب وسواد
وعمرت بالعدل البلاد فأصبحت همداء لا جور ولا أفساد
وتبرّقعت حلل الشريعة واجتلت بعقود صلح ورهن مواد
وعطفت أرباب القطيعة والنوى فتواصلوا وتقارب الأبعاد
وتحاضر الأخوان بعد تحاصر وتفاكه الأباء والأولاد
من ببعد ما شطت بهم وتقاذفت فلوات بين شأنها الأبعاد

فـرأيتهـا قـرت عيـونـا وانثنت تـثني إيـادي مـن لـه الأمـداد
لا غـرو قـد نـظرتك عين عنـايـة الـ ـمـنّـان حـتـى لا يـرد مـراد
أوَما لأربـاب الـبـصـائـر آيـةٌ في مـا يـقـال تـوافـق الأضـداد
مهمـا دنت غلب الـرقـاب واذعنت لـشـريعـة الـرحـمن زال عنـاد
وخبت شـواظ الحـرب سلمـاً بعـدمـا مـرت سـنـون ونـارهـا تـزداد
وجمعت شمـل المسلمين فكـلـهم في نعـمـة وعلى يـديـك تـقـاد
وتبـدل الخـوف الشـديـد لجمعهم أمـنـاً وصـيـنـت أعـبـد وبـلاد
فلحـظك المسعـود كـان مـدارهـا ولـشـأنـك الأصدار والايـراد
واليـك يعـربي عـز دين محمـد وبـكـم تـعـزز (عـزة ورشـاد)(١)
لمـا طغت إيـطاليـا وبـدا لهـا الا ـء براق فـي الأتـراك والإرعـاد
فـانهد عـرش الكفـر رعبـاً واعتـلا الا ـسـلام وهـو الـشـامـخ الصعـاد
لا لا أخـال فـقـد أقـرا جـانـب والحق مـا شهـدت به الأنـداد
ولـذاك كـف يـراع مـدحي حيـرة فـهـو الـخـضـم ومـدحـه امـداد
فـعليـه صـلى الله بـعـد نـبيـه والآل مـا عمـروا الـرشـاد وشـادوا

انتهت .

ومما قاله القاضي الأديب الكبير عبد الكريم بن أحمد مطهر :

سـرت نسمـة الأقبـال عـاطـرة النشـر فـأهـلاً بـريـاهـا المـطيب للسـر
وهبت فيـا بشـراي أهـدي شميمهـا إلى صفحـة الأكـوان فـاتحـة البشـر
واطـلـع دور اليـمـن بـدر سعـوده كمـا انبلج الأصبـاح عن فلق الفجـر
وسـاجـل شحـرور المسـرة ورقهـا بمـا كـان أدنـاه المـرقص للدهـر
بشـائـر عنهـا الكـون يهتـز نشـوة كمـا فعلت في الخلق صافيـة الخمر
وآيـات تـوفيـق ولحظ عنـايـة من الله أدنت لـلورى فلك الـذخـر

(١) إشارة الى الوالي عزة ومحمد رشاد سلطان الأتراك .

كـأن سنـاء الشمس مشكـاة نـورهـا ومـظهـرهـا ذاك التـلألؤ في الـزهـر
كـأن عليها من شذى الـروض نفحـة بهـا أفق الـعليـا يـفتـر عـن يسـر
تجلت فـمـا أدراك أي لـبـانـة تسنى بهـا إدراك غبـطة ذا العصـر
ولاحت فقـل للشهب أبـان سعـدهـا تغيبن حسب الأفق لألآهـا البـدري
أمـا الأمن معناهـا أما رفعـة الهـدى أسـاس مبـانيهـا المشيـدة بـالبـر
أمـا فتحت للخيـر مـرتـج بـابـه أمـا قشعت غيم الضـلالـة والشـر
أمـا جـاطت والـرشـد غـايـة كنههـا أمـا أنسكبت في أثرهـا سحب القطر
مـواهب أرضعن الهـدى ونشـأن في مـهـاد التـقـى لله نـاشئـة الـخيـر
تهدل عنها الأمن والعـدل في الورى ومدت رواق الشرع في كنف القـطر
وجـادت من الـلآلاء بـالشنن الـذي نشدناه أزمـانـاً لـدفـع أذى الضـر
لك الله يا عصـري حـظيت بغبـطة هي الغـرة الشماء في جبهـة الـدهـر

إلى آخر هذه القصيـدة فهي طويلة على هـذا النسج والـطرز، وهذا مـا آثـرنا نقله وأعـرضنا عن فيض من الشعـراء ومعين من القول ميلاً الى الإيجاز وحذراً من البعد عن الموضوع.

وبهذا أنتهى القسم الأول من الكتاب كما أشرنا إليه في ديباجته وسنتبـع القول بالقسم الثاني مستمدين من الله الإعـانة والسَّـداد والتوفيق الى الصَّـواب والسلامة من الزَّلل إنه أكرم مستعان.

(القسم الثاني من الكتاب)

انتهى القسم الأول من الكتاب، بمعاهدة دعَّان، والاتفاق على نصوصها ، وهذا مبدأ القول في القسم الثاني ، الذي يشمل حوادث الأعوام التي تلت عام ١٩٢٩ إلى أن انتهت الحرب العالمية الأولى ، وبانتهائها انسحبت القوات التركية من اليمن، ومن سائر بلاد العرب إلى الأبد، وتسلم الإمام جميع شؤون البلاد، وانتقل إلى صنعاء عاصمة البلاد اليمنية ليدير دفة الشؤون الداخلية والخارجية ، ويواجه الأمور من كثب، ويصلح ما أفسدته الحروب والمنازعات المتطاولة في هذا القطر.

ونعود إلى القول في الموضوع الذي نتعجل البيان له ، ونقول: إن هدنة دعان تمت على الصفة التي أوضحناها، ثم وضعت موضع التنفيذ والعمل فهدأت الأحوال، واطمأنت النفوس، واسند الإمام أعمال القضاء في العاصمة وغيرها إلى أعلام من الرِّجال فأخذوا يباشرون الأعمال، وجلسوا على كراسي القضاء، يفصلون الخصومات ويحكمون في كل ما شجر بين الناس من خلاف وساد الأمر بالمعروف، وحوربت المنكرات وتوارى أصحاب الدعارة والبطالة ، وأحاط بهم الرعب إذ أن الشرع، واقف لهم بالمرصاد، يحاسبهم على جرائمهم وسيئاتهم ولم يبق للمسكرات وجه بارز ولا للقمار يد تتحرك، وأمن الناس على أموالهم؛ فأخذوا يتبادلون بها في آفاق البلاد، ونشط الفلاحون لزراعة أرضهم. وانتفى الخوف وتوارى الذعر، وتلاقت الوجوه واتحدت القلوب، وتعاونت الجماعات.

وبينما الناس في غبطة ووداعة وارتياح إذا بالأنباء تترامى بطلائع فتنة ما كانت في الحسبان، ونزاع ما كان أحد يقدر وقوعه، فالسيد محمد بن علي الأدريسي الذي أشرنا إلى قيادته لجماهير صبيا وأبي عريش وما اتصل بهما وإرقاله[1] على القوات العثمانية في جيزان وعسير، قد تطورت به الأحوال ، وتقلبت به الأهواء، وطار على جناحين، فإذا هو يبث السموم سموم الفرقة والاختلاف، ويؤلب قبائل جماعة ورازح وسحار، وما اتصل بها للثورة على الإمام، ويمدهم بالمدافع والأسلحة الحديثة والذخيرة، ويوزع النقود بدون حساب ، وإذا بالواعظ الديني والسيد الصوفي[2] يبدو رجلاً يلعب على حبل السياسة، ويفتح قلبه لأوروبا، التي كانت تخادع العرب، إذ ذاك، وتمنيهم بسيادة قومية ونهضة عربية، ولما كان هذا الحادث بمكان من الخطورة، وكان أصلاً لأحداث وحروب وفتن خبط الناس فيها ما شاؤا رأينا إشباع القول وفاء بحق التاريخ وعبرة للناظرين وإليك البيان :

---

(١) كذا في الأصل.

(٢) كان ابتداء امر الآدريس المذكور دعوى التصوف والإرشاد كأسلافه السابقين كما سيأتي بيانه فيما بعد.

(الإمارة الإدريسية ومبدأ نشوئها)

رأينا أن نتقل هنا ما قاله الأستاذ فؤاد حمزة[1] في كتابه (قلب جزيرة العرب) لئلا نتهم بتحيز أو تحامل، قال في صفحة ٣٥٦: يبدأ تاريخ إمارة الأدارسة من محمد بن علي بن أحمد بن إدريس وكان جده السيد أحمد بن إدريس من أهل العلم والصلاح هاجر من المغرب، وأقام في مكة المكرمة برهة، ثم ذهب إلى تهامة اليمن لزيارة بعض تلاميذه ومريديه واستقر به النوى عام ١٢٤٦ هـ. (١٨٣٠)م في صبيا في جوار الشريف حسين شريف أبو عريش وأقام هنالك يبشر بطريقته الإدريسية إلى أن توفي بعد ذلك بنحو سبع سنوات، قامت إمارة السيد محمد حفيد السيد أحمد على التراث الديني الذي خلفه له جده بين القبائل، وأعانته الظروف السياسية وماكانت عليه الدولة العثمانية من تضعضع وإهمال في أواخر أيام السلطان عبد الحميد فراح يدعو إلى نفسه دعوة إصلاح ديني آملاً في الوصول إلى أغراضه السياسية.

ولد السيد محمد عام ١٢٩٣ هـ(١٨٧٦م) في صبيا وجاء إلى مكة مجاوراً عام ١٣١٣هـ ثم رحل إلى القاهرة، ودخل الأزهر الشريف ثم ذهب إلى واحة الكفرة[2] مركز السنوسية، وانصرف عنها إلى دنقلة[3] حيث أخواله بالسودان، ثم عاد إلى صبيا، مسقط رأسه في أواخر سني السلطان عبد الحميد، فوجد مرتعاً خصيباً لعمله، وساعده على ذلك فساد الإدارة وانتشار الرشوة، وبعد البلاد عن مركز الحكومة، والاستبداد القاهر، فالتفت حوله

---

(١) ترجم له في الاعلام ج٥ ص ١٥٩ فقال هو فؤاد بن أمين بن علي حمزة كاتب وباحث شارك في السياسة ولد وتعلم في عبية بلبنان سنة ١٣١٧وتوفي سنة ١٣٧١هـ.

(٢) الكفرة:

(٣) من جمهورية السودان تقع جنوب جندل النيل الثالث مباشرة على بعد ١٤٠ إلى الجنوب منها (الموسوعة العربية ص ٨٠٥).

الناس من كل حدب وصوب، وأرادت الحكومة العثمانية عجم[1] عوده وارسلت إليه وفداً سار خلفه جيش كبير، يقوده القائد سعيد باشا فأفهم الإدريسي حالة البلاد للوفد، وأنه وجدها معطلة فاسدة الإدارة معدومة الأمن، فقام هو بإصلاح أحوالها عن طريق الإصلاح الديني، وذلك في مصلحة الدولة، فخدع الوفد بأقواله ، ونال الإدريسي من قائد الجيش إعلاناً للقبائل يفوضه فيه بقيامه ببعض المهام ، فكان ذلك سبباً في ازدياد سطوته ونفوذه، وعينته الحكومة ، قائمقاماً لصبيا وأبي عريش وبعد برهة قصيرة ألب على الحكومة العثمانية، وأرسل من قبله قواداً لاحتلال البلاد، ووجه ابن عمه السيد مصطفى الإدريسي إلى عسير السراة لاحتلال (أبها) وكان ذلك في ذي القعدة عام ١٣٢٨هـ وشدد الإدريسي الحصار على (أبها) وفيها المتصرف سليمان شفيق كمالي باشا إلى أن فك الحصار عنها على يد القوة التي قادها الشريف حسين بن علي أمير مكة في السنة التالية، وتحصن السيد محمد بعد وصول القوات عليه في جبل فيفا[2]، ولكنه عاد إلى تهامة، بعد إعلان الحرب بين إيطاليا والحكومة العثمانية، واستولى على صبيا وجيزان وأبي عريش، واتفق مع الحكومة الايطالية التي أمدته ببعض الذخيرة، غير أن علاقات السيد محمد مع ايطاليا وقفت عند هذا الحد، واستبدل بها صداقة جديدة مع الحكومة البريطانية في السنة الأولى من اعلان الحرب العمومية، فانه عقد عام ١٩١٥م معاهدة صداقة، ثم جددت هذه المعاهدة عام ١٩١٧م، واعترفت له بريطانيا بالسيادة على تهامة حتى اللحية[3] في الجنوب والقنفذة[4] في الشمال وتعهدت له بحمايته من أي

---

(١) كذا في الأصل.

(٢) بلد واسع من بلاد خولان بن عمرو بن الحاف في بلاد صعدة (الحجري ص٦٣٩).

(٣) بلدة من تهامة على ساحل البحر الأحمر على مسيرة يومين وهي فرضة وادي مور وبها أعمال كثيرة انظر (الحجري ص٦٧٩).

(٤) ميناء صغير على البحر الأحمر (الموسوعة العربية ص ١٤٠٣).

تعد خارجي كما أنه تعهد بعدم تأسيس علاقات سياسية أو تجارية مع أية حكومة أجنبية [1] واشتد ساعد السيد محمد بعد الحرب العمومية واستولى على الحديدة، وتعاقد مع الملك عبد العزيز بن سعود للقيام معاً لتأمين مصالح الجانبين، وظلت صلاتهما حسنة إلى آخر أيام السيد محمد.

غير أن موقف السيد كان عصيباً نظراً لوقوعه بين عدوين كبيرين الإمام يحيى في اليمن، والشريف حسين في الحجاز ووقعت بلاده بعد وفاته في شعبان عام ١٣٤١هـ ١٩٢٣م ، فريسة في براثن الفتنة، انتهى كلام فؤاد حمزة[2].

وقد نقلناه بنصه لأنه يقرر ما سوف نسرده عليك في ما يلي هذا ، من قيام الأمة اليمنية منكرة ساخطة لما أشيع أن السيد محمد يد أجنبية يريد أن يحدث في اليمن حدثاً لا يدرك مداه، وقد تبين لك أصل وقوع الدعوة الإدريسية في شمال تهامة وانها كانت طريقة صوفية تقوم على أساس الطرق المعروفة في كل زمن ومكان ، ثم تحولت إلى دعوة سياسية على يد السيد محمد، والمؤسف العظيم ، هو أن تعلم أن السيد محمد زار مركز السنوسية في طرابلس ثم عاد إلى اليمن وفي الوقت الذي غدرت ايطاليا بطرابلس، وانقضت عليه بكل قواها الغاشمة، بادر السيد محمد إلى موالاة ايطاليا واشعال الحرب على العثمانيين! ليشغل بالهم فلا يستطيعون دفاعاً عن طرابلس، إذ أن بلاد طرابلس كانت تحت رعاية الحكومة العثمانية، فكأنما أعان السيد محمد على أهله وبيته، أما الإمام فقد تلقى الأنباء التي رددتها الألسنة في عام ١٣٢٩ هـ ، وشاعت في الشعب اليمني القائلة[3] بتوطيد

---

(١) بياض في الأصل.

(٢) انظر.

(٣) أي القولة.

علاقات السيد محمد بحكومة ايطاليا، بكل ثبات وروية وأناة، وكان القائد عزة باشا يلح على الإمام في وجوب التعاون لمناهضة السيد محمد قبل أن يستفحل الشر، وبالغت رجال الإدارة العثمانية في مفاوضة الإمام بشأن الإدريسي، وحضه على أن يشارك في محاربة هذا الداء.

ولما كان الإمام يعلم ان الدعاية السياسية، قد تختلق أكثر من هذا، وان السيد محمد لما وقف في وجه الأتراك احتمل ان يقال انهم[1] أرادوا أن يقوم الناس عليه، وان يسارعوا إلى خضد شوكته، كل هذا محتمل ولا سيما والخصومة السياسية تأتي بمثل هذا واكثر منه، لذلك سارع الإمام ببث العيون، وارسال رقباء سريين ليشاهدوا السيد وأعماله وما يذر وما يتصل به، ومن أية جهة تأتيه الأموال، فوافته الحقائق دالة أن مدداً بحرياً وفيراً عظيماً يتوارد على السيد محمد، فارتأى الإمام ان يكتب للسيد محمد باحثاً ومستفهماً، ومحذراً وناصحاً، فأجاب السيد ان ذلك المدد يأتي من اخوان له وراء البحار.

ثم ازدادت الدعاية ضد الإدريسي وكثر القول في شأنه، وأخذت الدوائر العثمانية، تتأهب للانحدار لمقاومته، وبدت الامارات تومي أن وراءها أشياء فأوفد الإمام، أربعة من عيون السادات الأعلام الذين لا ينخدعون، ولا يمكرون، وهم السيد الكبير أحمد بن يحيى عامر[2] والسيد النبيل محمد بن علي الذاري والسيد الكبير عبد العزيز بن المتوكل والسيد الكبير محمد بن محمد الشرعي ولما حل هذا الوفد بساحة السيد محمد الإدريسي قابلهم بكل حفاوة وإكرام وإيناس، وتبادلوا الحديث معه في موضوع ما يجب من إنبرام صلح بينه وبين الحكومة العثمانية، وسألوه عن صلاته بايطاليا، وتلقي المدد منها، فاعترف لهم بذلك، واعتذر ان الظروف

---

(١) استلحق المؤلف هذه الجملة فوق السطر.

(٢) سبق ذكره.

اقتضت ذلـك وأكـد لهم انـه لن يبـدر منـه سوء إلى الإمـام وبـلاده، وان الشريعة هي المرجع في كـل اختلاف قـد يحدث بين أتبـاع الفريقين، وكـان إياب هذا الـوفد الى الإمـام بعد أن شـاهدوا رأي العين وفـرة المدد الايـطالي وكثرة تكديسه.

وقـد كان في ختـام عـام ١٣٢٩هـ ذهـاب شيخ الإسـلام علي بن علي اليمـاني [١] والقـاضي الأديب حسين بن أحمـد العـرشي [٢] مؤلف المنـظومـة التـاريخية [٣] في أحـوال اليمن وشارحهـا بالشـرح المطبـوع على نفقة الأستـاذ الأب انستاس ماري الكرملي العلامـة اللغوي العـراقي [٤]، وكان مـرور هذين العـالمين من صبيا فقـابلهم السيد محمـد، بكل حفـاوة وأكرمهم، وبـالـغ في إينـاسهم إلى ان تجـاوزوا حـدود بـلاده إلى الحجـاز لأداء فـريضـة الحـج المقـدس، وعند إيـابهما من البيت الحـرام، تـوفي القـاضي حسين العـرشي وأدركتـه رحمة الله في محـل يقال لـه الكدف على مـرحلة من الليف [٥] وكـان ذلك في آخر شهر ذي الحجة الحـرام سنة ١٣٢٩هـ رحمـه الله،وقد رأى شيـخ الإسلام أحوال السيد محمد علي وما انتهت إليه أحواله.

وقـد استمر المـدد الإيطالي للسيـد محمد، وتتـابع حتى طـارت الأخبار بعـظم ذلك إلى كـل زوايا الشعب اليمني، وحتى هرع إليـه كثير من طـلاب الدنيا من كل حدب، وأخذت ايطاليا تشدّ من عضد السيد.

وحـدث في هذه الفتـرة ضرب كثيـر من سواحـل اليمن بنيران المـدافع

---

(١) هـو العلامـة الكبير عـلي بن علي اليمـاني ولد بصنعـاء ١٢٧٢ وبرع في سـائر العلوم وتلقى العلم عليه جماعة من العلماء وشارك في عدة قضايا تاريخيةتـوفي سنة ١٣٥٠.

(٢) هـو العلامـة والمؤرخ الحسين بن أحمـد بن صالـح العـرشي ولـد سنـة ١٢٧٦ بهجـرة الكسب من خولان وتولى بعض العبادات كما سبق ذكره وله مؤلفات تاريخية توفى سنة ١٣٢٩ كما سيأتي.

(٣) يعني به كتاب بلوغ المرام ممن تولى حكم اليمن من ملك وإمام.

(٤) هو من أفاضل العلماء توفي سنة ١٣٦٦.

(٥) كذا عبـر المصنف والليث بالثـاء المثلثة بندر من تهامـة.

الايطالية، من البوارج الماخرة على سطح البحر الأحمر، كما أنها تجلدت في حرب طرابلس، على رغم ما أنزل المجاهدون الكرام بها هناك من أليم العذاب، ووبيل النكال، وتعدت على كل موضع تابع للحكومة العثمانية، وأصبح العالم الإسلامي يغلي ويفور، من عدوان ايطاليا، وأما صديقها السيد محمد[1]، فانه جمع أمره، واندفع إلى الوساوس والأحلام، مغتراً بوعود ايطاليا وبكثرة امدادها، وأخذ يفرق الأسلحة والذخائر، في أطراف قبيلة (جماعة ورازح) من القبائل الشمالية التابعة للإمام، وأخذ يدبر المكايد، ويستدعي رؤساء القبائل، ويغمرهم بالأموال الطائلة، ويعدهم ويمنيهم، وما أطل هلال جمادي من عام ١٣٣٠هـ إلاّ والثورة قائمة مشبوبة في جماعة ورازح، والشعار الإدريسي مرفوع، وسحار القبيلة الكبيرة تموج وتضطرب، وطارت الأنباء بأن الأيدي تعمل لانقلاب قبائل حجور، وبني مروان المصاقبة لحرض.

وهنا وجد الإمام نفسه واقعاً في موقف إن لم يتقدم ويعمل فالبلاد مستهدفة بلا ريب لخطر مداهم، وشر مستطير ونكاية للدين لا ترفأها الأيام، وسقوط في مهواة لا يعلم إلا الله بماذا تنتهي، لأن أمر السيد محمد أصبح مكشوفاً وأصبح حاله معلوماً، وانه يعمل على حساب ايطاليا وبأموالها وسلاحها، اذن فالخطر على الأبواب، وإذا كنا نقاتل بالأمس عدواً لاستهتاره في الظلم والمنكرات، مع أنه مسلم، فكيف يسوغ القعود عن عدو تمده ايطاليا ويعمل على حسابها، وسينتهي الأمر بخروج البلاد من يد أهلها في الوقت الذي لا ينفع دفاع ولا احتجاج، واستئصال الشر قبل أن يستفحل من الحزم، واصطلام الأذى قبل ان يوغل من الحكمة، ولم يجد الإمام بدّاً من الإقدام، وخوض معركة حامية من جديد، فأخذ يستنفر القبائل الشرقية من برط إلى الجوف، حتى مأرب، ويجهز الجنود ارسالاً ارسالاً إلى سيف

---

(١) يعني الإدريسي.

الإسلام محمد بن الهادي قائد جيوش الإمام في بلاد الشام، والناظر العام في أمورها وشؤونها، ولم يدع الإمام، فرصة تمر إلاَّ وينتهزها ، فساق كثيراً من الرؤساء والزعماء إلى بلاد الشام، وواصل المدد إليهم والذَّخائر ، وواتر بعث الجنود إلى الشام، كل هذا وقبائل الشام جماعة ورازح وسحار تفور وتغلي، ورجال الإدريسي يعملون ويوطدون أقدامهم في أطراف هذه البلاد، ويزودون القبائل بالأسلحة، ويوفرون لهم الأعطية، ويسوقونهم إلى موارد الهلكة والتلف ، والسيد محمد يواصل تفريق الأموال، ويستجلب النفوس بالرغائب والمدد الايطالي يزداد وفوراً، ويظهر أن السيد محمد أخبر ايطاليا بحشد الإمام، وسوق الجنود والتأهب لمعركة تنتهي بإزهاق الباطل، وتفريق أوصاله، لذلك بادرت ايطاليا إلى مراسلة الإمام، وأخذت تخطب رضاه بكل أسلوب وترجوه أن لا يقاوم السيد محمد ولا يعترض سبيله، وأكدت مطلبها هذا بواسطة سفارتها بمصر، وسفارتها في عدن!، وأخذت تتوسل بكل الوسائل، مخافة ان يقع السيد محمد في مضيق لا يخرج منه، ولكن جلالة الإمام أزداد يقيناً بهذه الشفاعة، وعلم حقّ العلم أن جزيرة العرب سائرة إلى نهاية مشؤومة وان أوروبا لن تدع الفرصة سانحة إلاَّ وتنتهزها فكان هذا من أكبر العوامل في بروز الإمام، وتفريغ كل قواه وبذل كل جهوده لمكافحة الإدريسي.

ولما رأت القيادة العثمانية بصنعاء ان الإمام قد اقتنع بوجوب محاربة الإدريسي وتوفرت لدى الإمام الأدلة على وجوب صيانة البلاد من شرور الكافرين، وانه آخذ في إعداد العدة، وتوفير الأهبة للجلاد والجهاد، سارعت إلى عرض معونتها وبعثت بكميات غير قليلة من الذخيرة الحربية والسلاح، ولما أزدادت حركة السيد محمد واضطربت نواحي صعدة أيما اضطراب، أسرع الإمام ، إلى استنفار قبائل صنعاء المجاورة لها، ونشر الدعوة في طول البلاد وعرضها واستدعي المخلصين من كل أرجاء البلاد ، وأرادت القيادة العثمانية بصنعاء أن لا تبقى متغافلة أمام هذا الخطر، فعرضت

على الإمام أنهم مستعدون لتجهيز ثلاثة طوابير بكامل معداته وأدواته، تكون تحت رأي الإمام، وأمره في حربها وسلمها، فتقبل الإمام هذه المعونة قبولاً حسناً واسرعت القيادةالعثمانية إلى تقديم هذه الطوابير وقد أعد الإمام طوائف من رجاله لمرافقة هذه الطوابير، وعددها محافظة عليها إذ أنها ستمر في سفرها إلى بلاد الشام، في بلدان قبائل شتى، وصحاري ووعور، ومن المحتمل أن يتعرض لها أحد بسوء، والمسافة تزيد على عشرة أيام، وأعد لها الإمام النفقات اللازمة لها ولما معها من حيوانات الركوب، وحمل الأثقال، وكانت لا تنزل منزلاً ولا تهبط وادياً إلّا بين رعاية الإمام وإكرامه ، واستمرت في سيرها حتى وصلت إلى (ساقين)، وقد تجمعت جنود كثيرة ، ولكن البلاد قد استفحل شرها، واجمعت جماعة ورازح وكثير من سواهم، على نصرة السيد محمد، وتفانت في سبيل دعوته لما يغدق عليهم من وفير الأموال، وهمت هذه القبائل بحصر (ساقين) مركز قائد جنود الإمام.

ولما بلغت هذه القوة العثمانية الديار الشامية، وتجمعت جموع العرب تحت ألوية زعماء الإمام، أخذت القبائل تتحمس في غيها، وتتفانى في بغيها، وأول معركة دارت في عرو[1] بين فريق من جنود الإمام وخصومهم، وانجلت المعركة عن فرار الأعداء بعد مقتلة حامية، ثم تجمعت جموع كثيرة إلى شعب حي[2] والعينا، ودارت بين الفريقين ملحمة هائلة ، نشطت فيها مدافع الفريقين، واشتد فيها العراك وانكشفت بفرار الأعداء، وانهزام جموعهم، وانتهت الجنود الإمامية إلى سوق الاثنين في أطراف شعب حي، وغنم المجاهدون مغانم كثيرة وسلبوا من قرى خولان أشياء طائلة ولا سيما الأسلحة، وفرت جموع رازح لا تلوي على شيء، ثم فترت همة الجنود الإمامية، ونشب سوء تفاهم بين طوائف المجاهدين ، أدى ذلك إلى

---

(١) جبل بالغرب من صعدة بمسافة ٣٧ ك.م وفيه مساكن بني بحر بن خولان (المقحفي ص ٢٨٥).

(٢) نسبة إلى قبيلة من قضاعة ثم من خولان بن عمرو بن الحاف من صعدة (المقحفي ص١٣٤).

استجماع العدو لقوته، وأراد أن ينزل بهم ضربةً قاصمة، ويهاجم صعدة والسنارة، والصمع[1] فسارع رجال الإمام إلى تدبير الدفاع وتقوية وسائله، ثم نشبت معارك في الشط[2] والطويلة[3] من بلاد همدان، واستمرت الحرب أياماً، ثم كان انقضاض الجنود الإمامية، على جمعة بني بحر ومن يتصل بها إلى أطراف جماعة، وأنزلوا بالباغين عقاباً أليماً ونكالاً عظيماً وجرت معارك دامية في أطراف خولان انتهت بفشل القبائل وأصحاب السيد الإدريسي.

ولما رأى السيد محمد الإدريسي أن الأمور في قبائل الشام انتشرت، وان المقاومة من جانب الإمام استفحلت، وخاف أن تخضد شوكته في هذه الجوانب، وان تفيء، هذه القبائل إلى طاعة الإمام وحكمه، سارع إلى فتح جبهة جديدة في حجور[4] وخدع بني سعد[5] وبني أحمد من بني هني[6] من قبائل حجور وأمدهم بالمال والأسلحة والرجال، ودبر لهم مكيدة الثورة وأخذ عامل الإمام في حصن الموشح[7]، وسرعان ما تجمعت قبائل بني مروان[8] ومستبى[9] والخميسين[10] وبني سعد وبني هني، وهاجمت حصن الموشح، في اليوم الثاني عشر من ذي القعدة الحرام عام ١٣٣٠ هـ

---

(١) حصن من صعدة في جنوبها (المقحفي ص ٢٥١).

(٢) عزلة من ناحية صعدة قضاء سحار (تعداد التخطيط ج٧ ص٨٦).

(٣) عزلة من ناحية صعدة قضاء سحار (نفسه ص ٨٨).

(٤) بطن من همدان ينسب إلى حجور بن أسلم بن عليان بن عريب بن جشم بن حبران بن نوف بن همدان ويقال لهم حجور الشام.

(٥) من قبائل شافعي ناحية خولان صعدة وبنو سعد أيضاً عزلة من ناحية وشحة قضاء وشحة (تعداد ج٦ ص٢٤٧.

(٧) هي المعروفة بوشحة بلدة من أعلاء بلد حجور.

(٦) عزلة من وشحة.

(٨) من ناحية ميدي لواء حجة.

(٩) ناحية من وشحة.

(١٠) عزلة من أقليم قضاء الشرفين.

وأحاطت به القبائل الموالية للإدريسي واستعصم فيه عامل الإمام وأتباعه، وأخذ الإمام يوجه الجنود والذخائر إلى حجور لمقاومة الخطر الناجم من هذه الزاوية ؛ واشتدت الحرب حول هذا الحصن الشامخ المتين وثبت فيه رجال الإمام وصابروا، حتى وافتهم النجدة التي بعثها الإمام لفك الحصر عنهم، ودارت معارك شديدة الإلتحام على طول بلاد حجور، وفي قلاعها الشامخة، حتى تمكن أصحاب الإمام من الوصول إلى حول الموشح، وتم لهم فك الحصر، وأوقعوا بالمجاهدين نكايات، غير أن المجاهدين هاجموا وثبتوا وتحملوا كل نكاية، حتى تغلبوا على عدوهم، وأنزلوا به الضربة الأخيرة ، ففرقوه، وأمعنوا فيه قتلاً وأسراً وأخذوا منه مغانم طائلة، وولت الأعداء الأدبار، وكان حظهم البوار والخسار.

ثم تجمعت جموع وأرادت الاستيلاء على قارة[1] فقابلتهم الجنود الإمامية، وجرت بين الفريقين معركة انتهت بهزيمة الأعداء وفرارهم.

ثم كان بعد هذا بث سموم الدعاية الإدريسية في بلاد (عاهم)[2] ، وأخذت بلاد (عاهم) تفشل وتنخدع، وجنح بعض قبائلها إلى إتباع السيد محمد، وطمعوا في سائرها فانثنى الإمام إلى تحصينها، وبعث الجنود لحفظها، وطرد الأعداء من أطرافها، واجتمعت قوات إمامية كثيرة في حصن (كشر)[3] من مختلف القبائل ، وأسرع أصحاب الإدريسي إلى الهجوم فساقوا قوة وذخيرة إلى وادي (مزرعة)[4] ونشبت فيه بين الفريقين حرب طاحنة ، ثم دارت الحرب في القرى المجاورة لسوق عاهم وامتدت إلى الخميسين[5] وانتصرت القوات الإمامية، حتى اقتربت من بيت الخميسي

(١) عزلة من ناحية وقضاء وشحة.

(٢) عزلة من ناحية كشر قضاء وشحة.

(٣) ناحية من قضاء وشحة كما سبق.

(٤) عزلة أنهم ناحية كشر قضاء وشحة.

(٥) سبق ذكرها.

أحـد رجال السيـد محمد، وأصلت بيـوته نيـرانـاً حـاميـة، ثم حـدثت معـارك خفيفـة في (بني حملة)[1] ثم امتدت رجـال السيـد محمـد في حـدود بـلاد الشرف[2] وأخذوا يهـاجمون القـرى ويطاردون أهلهـا التـابعين لـلإمـام وبـدأوا بالعمل في (جياح)[3] فاضـطرب من في بلاد الشـرف، فهرعت قـوات إماميـة إلى تلك الأطراف، واشتبك الفـريقان في معـارك خفيفة، ومـطاردات محلية، وساق الفريقان قوات كثيرة وذخائـر وفيرة، وامتـد هذا الميـدان من حجور إلى بلاد الشرف، وكلا الفريقين يسوق الرجال والذخائر إلى الحدود .

ثم تلا هذا حـدوث سكون في الميـادين في شهر ربيـع الأول من عـام ١٣٣١هـ، لمحـادثات جـرت بين القيادة العثمـانية والسيـد الإدريسي واقتـرح الوالي (محمود نديم) على جلالة الإمام أن يتريث ولا يتعجل في المقاومة ، وفي هذا الشهر تغلب الجنـد الإمامي على كـافة قبيلة سحـار في ميدان الشـام، وسقـطت الجوانب التـي كانت مـوغلة في عنـادهـا مثـل آل حميـدان وأهـل الطلح[4] والأبقور[5] وقد أصيب ميدان الشام بتخاذل وتـراخٍ من جانب القـوات الإمامية في هـذه الفترة، وانخـذلت جموع من ذي غيـلان[6] وابنـي شاكـر[7]، ومكرت فكان هذا أحد الأسباب في ركود حالة الميدان الشامي .

ومنها فشل الطوابير العثمانية الفشل المعنوي فقـد وهنت قواهم وخـارت عـزائمهم، حين مـا اتصلت بهم الأنبـاء المتـدفقـة من الأستـانـة، والحـروب

---

(١) عزلة من ناحية أفلح الشام قضاء الشرفين .

(٢) جبل واسع في الشمال الغربي من حجة ويشكل أحد قضواتها (المقحفي ص٢٣٠) .

(٣) عزلة من ناحية أفلح اليمن من بلاد الشرفين السابق ذكرها (نفسه ٩٨) .

(٤) عزلة من سجار من صعدة (المقحفي ص٢٦٤) .

(٥) قبيلة من خولان لها بقية في سحار بالشمال من صعدة (نفسه ٧) .

(٦) من غربي صعدة من قضاء رازح (نفسه ٣١٠) وذو عيلان من دهمة من ناحية برط .

(٧) شـاكـر بـطن من بكيـل من ولـد شـاكـر بن نهم بن ربيعـة بن مـالـك بن معـاويـة بن صعب بن دومان بن بكيل .

الطاحنة حواليها بين الدولة العثمانية ودول البلقان، فكانت الدهشة عظيمة، والجزع بالغاً أشده، فلم يبق لهذه الطوابير معنى، ولا برزت بعمل يذكر.

هذا كله والنفقات التي تستنفدها الجنود قد بلغت مبلغاً باهضاً بتوالي الأيام، وأصبحت الحالة تنذر بعواقب غير سارة إذا لم يحدث ما يضمد الجراح، ويبعث النفوس على الثبات والتضحية الغالية.

ولما انتهى الكفاح في سحار توجهت الجنود إلى (جماعة وعران) (والى رازح) ومن اتصل بهم ممن سارع إلى البغي ونكث وحارب تحت لواء السيد محمد، ولكن الجنود الإمامية كانت قد قلت، وأخذت الطوابير التركية تلح في تخلية سبيلها لتعود إلى صنعاء وتوقفت عن كل عمل، وبعد مخابرة جرت بين الإمام والوالي محمود نديم، وصل إلى مقام جلالة الإمام (عصمت باشا) أركان حرب القوة العثمانية بصنعاء وبرفقة السيد الكبير قاسم ابن حسين العربي أبو طالب، وبعد تراجع وتشاور تم الرأي على أن يذهب عصمت والسيد المذكور إلى صبيا إلى السيد محمد للتفاوض معه ولدراسة أحوال السيد، وما ينوي أن يقوم به، ولما عادا إلى صنعاء بهذا الرأي، رغب الوالي محمود نديم أن يكون الوافد إلى الإدريسي بنفسه، وبعد مخابرة بينه وبين الإمام تم الرأي على سفر الوالي ومعه السيد الكبير قاسم بن حسين العربي والسيد الكبير أحمد بن كي عامر، واستصحب معه من كبار رجاله[1] جماعة، وعند وصولهم إلى تهامة، أستدعى ثلاثة[2] من كبار علمائها وأعيانها، وجرت المخابرة بين الوالي والإدريسي لتعيين مكان للإجتماع فيه فأظهر السيد الاضطراب والتلكوء، فإن هؤلاء السادات الذين رافقوا الوالي في سفرهم هذا اتجهوا إلى جيزان مقر الإدريسي، وجرت

(١) يذكر المؤرخ زبارة منهم: حسين كامل رئيس مجلس التدقيقات والقاضي عبد الكريم بن أحمد مطهر.

(٢) هم مفتي المراوعة العلامة محمد بن عبد الرحمن الأهدل وعبد الباري بن أحمد الأهدل ورجب بك متصرف الحديدة.

بينهم وبينه مفاوضات شتى، وبعد لأي وعنا وافق معهم على الاجتماع بالوالي، وعين مكان الاجتماع مدينة (ميدي) من البلدان التابعة له، فهرع الوالي على الباخرة الحميدية إلى ميناء ميدي، وكان السيد محمد قد توسط الطريق بين جيزان وميدي، فلما علم السيد خنس وتراجع، وأبى أن يدخل إلى ميدي خشية أن يؤخذ، وأرسل إلى الوالي بعض خواصه صارحه بهذا، فضحك الوالي وأفاد الوالي مندوب السيد محمد، ان له الرأي في تعيين مكان الاجتماع، وأمره أن يذهب إلى السيد ويخبره في تعيين مكان الاجتماع، وبعد محاورات تنازل السيد ورضى ان يقابل الوالي في (جيزان)، مقر الإمارة الإدريسية، فأبحر الوالي إلى ميناء جيزان، وتم الرأي على أن تكون المفاوضات نهاراً في جيزان، ويكون الرجوع ليلاً إلى الباخرة للمبيت، وكل ما جرى في المواقف الخاصة والعامة لم يخرج عن كونه جدالاً وعناداً، وفي بعض المقترحات الإدريسية التبرم من الإمام، وحاول إغراء القوة العثمانية به وبنقض الصلح، وأخيراً بعد اليأس من رجوع السيد إلى الحق وانقلابه عن مشربه الموبوء، أخبره الوالي: إن كل ما تقترحه على الحكومة العثمانية يكتب، وسيفاوض الحكومة في الأستانة بشأن ذلك.

وعلى هذا القول الجاف انتهت المفاوضات ورجع الوالي ومن صحبه في اليوم الثاني من جمادي الأولى عام ١٣٣١هـ.

ويمكن القول بأن فشل هذه المفاوضة نتيجة محتمة، ذلك أن السيد محمد لا يبرم شيئاً إلاّ بوحي ايطاليا ولا سيما في مثل هذه القضايا الكبرى، وكانت المصلحة الايطالية تقضي بشبوب نيران الفتنة، ضد الحكومة العثمانية في كل موقع وفي كل فرصة، لهذا كان فشل هذه المفاوضات أمراً منتظراً بل متحقق الوقوع.

ومازال السيد محمد يجد في محاولاته ضد الحكومة العثمانية من

جانب، وضد الإمام من جهة أخرى وايطاليا تقذف بالأموال إليه بدون حساب.

ونعود إلى تمام الكلام على ميدان حجور والشام، فنقول: قد أشرنا إلى رجوع سحار إحدى قبائل الشام إلى حظيرة الطاعة والجماعة، وحدث عقد صلح بين قبائل بني مروان، وخيران[1] ومستبا في ميدان حجور، وتجمعت الجنود الإمامية في آخر رجب من هذا العام عام ١٣٣١هـ على مناجزة جماعة، فاشتبك الفريقان في معركة انتهت بانخذال كثير من جموع جماعة، واشتبكت قوات إمامية مع قبائل رازح في العر والمصنعة[2] انتهت بانتصار القوة الإمامية، وفوزها بالإستيلاء على المحلين المذكورين، وانهزمت جموع رازح بعد خسارة فادحة ، واستولت القوة الإمامية على جبل (حرم)[3] واضطربت القبائل الشامية اضطراباً عظيماً.

وفي شعبان من هذا العام حدثت معارك خفيفة على حدود حجور، واشتبكت القبائل التابعة للإمام مع خصومهم في معارك شتى، انتهت بصد أتباع الإدريسي والتغلب عليهم.

وفي أول شعبان من عام ١٣٣١هـ تحول الإمام من مقره في (القفلة) إلى السودة للقضاء على شغب نشب في بلاد السود[4] وجبل عيال يزيد[5]

(١) ناحية من بلاد الشرفين (المقحفي ص ١٥٠).

(٢) جبل في وائلة من ناحية صعدة (الحجري ص ٤٧٨).

(٣) من عزلة بكيل ناحية شذا وغمار قضاء رازح.

(٤) السود ناحية تتبع قضاء عمران وهي بالجهة الشمالية الشرقية من مدينة عمران وتنقسم هذه الناحية إلى عدة عزل (الثور: اليمن دراسة موجزة ص١٠٨).

(٥) جبل عيال يزيد والأشمور سلسلة جبلية غرب عمران وتتصل بها جبال دعان ويسيع وجبال ظهر حاشد ويتراوح ارتفاعها بثلاثة آلاف متر عن سطح البحر ويحدها من الشمال ريدة ومن الشرق عمران ومن الغرب بني صريم ومن الجنوب الجبل وهمدان (نفسه ص١١١).

وانتظاراً لقدوم الوالي محمود نديم فانه أراد الاجتماع بالإمام، وتم الرأي على تعيين حصن السودة مكاناً للاجتماع .

وفي نصف شهر شعبان تم الاجتماع، وبعد اسبوع أمضاه الفريقان في السودة يسوده الإحترام والود وحسن التفاهم والتعاون، تم الأمر على تظافر الجهود، والتعاضد والتعاون لمناجزة السيد الادريسي وخضد شوكته، قبل أن يتمكن من توطيد نفوذه في البلاد، وكان الاتفاق على تبديل الطوابير العثمانية التي ترابط في بلاد الشام بغيرها، ممن ينشط للقتال، ويرغب في النزال.

وفي هذا الاجتماع سلم الوالي العثماني منشوراً رسمياً همايونيا[1] أرسل من الأستانة للإمام ايذاناً بالموافقة على معاهدة (دعان) التي أبرمها أحمد عزة باشا من جانب الحكومة العثمانية، وكان عزة باشا قد عاد من اليمن إلى الأستانة، وتقلد في هذه الآونة، نظارة الحربية في الأستانة كما يدل عليه لفظ المنشور الذي ننقله بنصه وأسلوبه وهو كما يراه القارىء:

(١) الهمايون: لفظة فارسية معناها المبارك والمقدس والملوكي وبهذا المعنى استعملتها الأتراك فقالوا باب همايوني وخط همايون.

(لفظ المنشور)

جناب مرجع السيادة عالي الإنتساب، فرع الشجرة «الزكية، طراز العصابة العلوية، اكرم السلالة الهاشمية، السيد الشريف الإمام المتوكل على الله يحيى بن محمد زكي حميد الدين حفظه الله تعالى من آفات السموات والأرضين. إذا وصل توقيعي الرفيع السلطاني. فليعلم ان نخبة آمالنا الشاهانية ان يعتلي ويزداد بتوفيقه تعالى شأن حكومتنا الإسلامية وشوكتها، وان تشيد بآثار العدالة والراحة أطراف ممالكنا المحروسة، وان تتأبد لكل فرد من اخوان الدين المبين اسباب السعادة والسلامة، وان تتميم حصول مقاصدنا الهمايونية في الخطة المباركة اليمنية، مطلوب وملتزم لون ملوكيتنا، ولذلك أقترنَتْ بتصويبنا الهمايوني، المواد التي تقرَّرت بالمذاكرة بينكم وبين ناظر امورنا الحربية، أحد الأعيان افتخار الأعالي والأعاظم، ومستجمع المعالي والمكارم، عزة باشا زاد علوه، حين كان قائد قوتنا العسكرية في اليمن، لرفع الأحوال التي كانت منذ زمن متوالية في قسم الجبال من خطّتنا اليمانية، ومؤدية لأنواع المضار بين المسلمين ولتأمين واستراحة تبعتنا الصادقين الساكنين في ذلك الجوار، ونفعهم وصدرت إرادتنا السنية السلطانية بوضع تلك المواد في موقع التطبيق وبياناً لكون مطلوبنا الشاهاني، المصحوب بالمعالي، صرف المساعي والإهتمام من جنابكم، ومكارم مناقبكم ايضاً، كما كان في رفع الشقاق المضّر بالأهالي المحلية منذ سنين رفيرة، ويزيد المصافاة والإتّحاد بين المسلمين وإراحة قلوب المؤمنين، كان إصدار أمرنا هذا عالي الشأن من ديواننا الهمايوني وإرساله نحو سيادتكم التي هي مرجع السّيادة تحريراً في اليوم السادس والعشرين من شهر شعبان المعظم سنة ١٣٣١ هـ انتهى.

ونجد إياب الوالي محمود نديم من حصن السودة، إلى صنعاء كان أول عمل عمله تجهيزه لثلاثة طوابير بكامل أسلحتها، تحت قيادة عثمان باشا.

وفي أوائل شهر شوال من هذا العام، خرجت من صنعاء في طريقها إلى الشام بدلاً عن القوة التي تحارب هناك، تحت قيادة موسى كاظم، وقد اعد الإمام لهذه الحملة كل لازم، على طول الطّريق من صنعاء إلى صعدة، ولما انتهت هذه الحملة إلى الشام، أسرعت الطوابير التي ملّت من الحرب وسئمت من النضال، إلى الرجوع إلى صنعاء فرافقهم من قبل الإمام من أعد لهم كل واجب على طول الطريق، في عودتهم إلى صنعاء، وقد استقبلهم الوالي والجماعات من الناس، من أتراك وعرب، وعجبوا أشد العجب لما شاهدوا سلامتهم وصحتهم وكمال جميع مظاهرهم، وبعد أن بلغت الطوابير الجديدة إلى سحار، واستعادت نشاطها اخذت تباشر أعمال الكفاح، بالتعاون مع القوات الإمامية، ونشبت أوّل معركة في آلة حميدان من أطراف سحار، وكانت معركة حامية الوطيس، انتهت بتراجع القوات الأمامية لكثرة من أحاط بهم من قبائل جماعة، ثم ان القوات الامامية، نظمت الصفوف، واستجمعت الجهود وانزلت بالأعداء ضربة بالغة، وتناولوهم من كل جانب حتى تم لهم الإستيلاء على آلة حميدان، وآل ذرية، والمعلقة إلى أن وقعت هجرة ضحيان في يد الجنود الامامية، وتبع ذلك إحاطة الجنود (بمجز)[1] وما حولها.

وفي الجهة الغربية استولى المجاهدون على الأشعاف[2] والأزوار[3]، وأوغلت قبائل سحار في النكاية بقبائل جماعة وإنزال الضربات الأليمة بهم، وأصيبت بلاد جماعة بنكبة حربية قاسية أتت عليهم (وعلى الباغي تدور الدوائر).

وفي خلال هذه الشهور والحرب تدور في ميدان الشام، وفي ميدان

---

(١) مجز: قرية في جماعة من بلاد ضعدة فيها مركز بني جماعة (الحجري ص٦٨٩).

(٢) من عزلة أنهم ناحية كشر قضاء ميدي.

(٣) من عزلة آل وقيش ناحية شذا وغمار قضاء رازح.

حجـور، والقوات العثمـانية رابضـة في تهامـة خشية أن يتـوسّع نفـوذ السيـد الادريسي في تهامة وكانت الرسائل والإنـذارات قد انتشـرت في طول البـلاد وعرضها، تحذّر النّاس من عـواقب التّدخـل الإيطالي بـواسطة الادريسي، وتـدعـوهم إلى اليقـظة في حـراسـة بـلادهم ودينهم، فكـانت هـذه الحـرب المعنوية من أعظم الآثار في عرقلة مساعي السيد، وفشل أحـوالـه.

وجـاءت سنة ١٣٣٢[1]هـ والأحـوال كما شـرحناهـا لك قبـل هذا جهـود متظافرة لمناجزة الدّعوة الادريسيـة، وحروب في قسمين من البـلاد عظيمين، وسائر البلاد تتمتّع بطمأنينة راسخة وسكون شامل.

وعامنا هذا عام ١٣٣٢ هـ هو العام الذي اعلنت فيه الحـرب العالميـة الأولى واصيب العـالم بكارثـة حـربيـة، أكلت اكثـر من عشـرين مليـونـاً من البشر، وغَيَّرت التاريخ وجغـرافية العـالم ونحن نكتب هذا التـاريخ في عـام ١٣٦٣ هـ، والعالم في الشرق والغرب يموج في بحار من الدماء، وهو العام الخامس للحرب العالمية الثانية ولا يدري إلاّ الله وحده بمـاذا تنتهي به هـذه الحرب ولله عاقبة الأمور.

وقد أسلفنا القول بان إيطاليا بـذلَتْ جهوداً كبـرى لدى الإمـام ليتخلى عن نصر الأتراك، ويدع حرب الإدريسي، فلم تجد مجالاً لديه، ونقـول هنا ان كثيراً من الذين أنخدعوا بدعوة السيـد قد أخـذوا يتباعـدون عنه، ويـرون في الإبتعاد عنه سلامة الدين والوطن لذلك وفدت طوائف من اشراف حرض آل حوذان وغيرهم إلى الإمـام يستحثونـه ويستنجزونـه الجدّ في كفـاح السيد الإدريسي، فأرسل الإمام من وفد إليه الى صنعاء إلى الوالي للمفاوضة معه،

---

(١) يوافق هذا العام أوائل سنة ١٩٤٤ وقد مضى على الحرب العـالمية نحـو خمس سنوات فقـد بدأت سنة ١٩٣٩ وانتهت سنة ١٩٤٥ بفواجع عـظيمة كـانآخرها رميقنبلتـين ذريتين عـلى اليابـان الى غير ذلك مما هو مسطر في كتب التاريخ.

وارسل كثير من شيوخ بني مروان إلى الإمام يبذلون طاعتهم ورجوعهم الى الحق.

وفي ربيع الثاني من هذا العام توجّه الوالي محمود نديم إلى الحديدة، ثم إلى اللحية، ثم إلى الشاهل[1]، وكتب الإمام إلى عامله بالشرف أن يقوم بكل ما يأمر به الوالي العثماني ثم عاد الباشا الى اللحية.

وبعد هذا الشهر أمر الإمام أن تتوجّه الجنود الموجودة في الشام لمهاجمة (جبل رازح) الجبل المتسع الجوانب الكثير الخصب القائم فوق سفوح تهامة، أبي عريش وضمد[2] وصبيا، والمسارحة[3] والحرث فانهالت الجنود العثمانية والإمامية على هذا الجبل من كل جانب ودارت رحى الحرب المضطرمة.

وفي شعبان من هذا العام استولت الأجناد الإمامية على قلعة الغمار مركز جبل رازح، بعد أن سقطت اكثر بلاد هذا الجبل، وما انطوى شهر شعبان إلاّ وجميع بلاد رازح قد أذعنت لصوت القوة، وَفاءت الى طاعة الحق، بعد أن حل ببلادها الدمار والنكال وفي شهر رمضان انكفأت الجنود الامامية إلى ديار جماعة لتصفية أطرافها وتطهيرها من الذين لا يزالون مَيَّالين الى الشَّغب والإفساد، واتجهت الجنود إلى (عرو) ثم أجمعوا أمرهم وهاجموا (وادي معبار)[4] وفيه دارت معركة حامية الوطيس ثبت فيها الجند الامامي وأبلى بلاءًا حسناً، وبذلت الطوابير العثمانية جهوداً جَبَّارة مشكورة، وانتهت المعركة بفرار أشرار جماعة، وأوشابها بعد خسارة في الفريقين،

---

(١) الشاهل ناحية تابعة لقضاء الشرفين في الشمال الغربي من حجة بمسافة ٣٧ ك.م (المقحفي ص٢٢٣).

(٢) قرية من تهامة بين صبيا وأبي عريش (الحجري ص ٥٥٣).

(٣) من قبائل تهامة من ناحية أبي عريش (نفسه ٧٠٧).

(٤) ما بين خولان ورازح.

ولم تمهلهم الجنود الامامية بل سارعت إلى التعبية، وهاجمت العياني وصارة، وكتب الله النَّصر للقوات الامامية، وانخذل المعاندون، ورأت جماعة أن لا قبل لها بتوالي الضربات وتتابع الصَّدمات فبادرت إلى الطاعة، وقدمت رهائن الولاء، وسكنت الشرور بعد اهوال طوال وخطوب جسام، وتدمير قرى، وتشتيت شمل وسفك دماء، كانت جديرة بأن تصان ليضحَّى بها في سبيل الحق، ولكن «ليقضي الله أمراً كان مفعولاً» وكان وقوع هذه الحوادث في شوال من هذا العام.

هذا، كان في ميدان الشام واما ميدان حجور فإن الإمام أمر بتمام أعمال هذا الميدان.

وفي رجب من هذا العام كان بَثّ الجنود لتأديب قبائل حجور الموالية للإدريسي بني هني وبني سعد وشطر من بلاد ضاعن[1] بني رخمة وقضاة الأودية،ونشبت معارك خفيفة ومطاردات متوالية، وكانت الحرب سجالاً، وتم للأعداء إحتلال حصن نعمان[2] بحيلة اهتدوا إليها، وواتر الإمام إرسال المدد والذخائر وتطاولت المجاذبات، وكانت قبيلتا بني سعد وهني ومنازلهما، في الطرف الغربي من حجور بجوار مستبا وبني مروان هما مفتاح الفتن، وكانتا على جانب من الخبث والغلظة والتلون ولما رأى الإمام ان الإحتفال والإهتمام بميدان حجور لا يثمر غير الخسارات الوفيرة، ولا يخشى من تلك الزاوية أن يمتد شر إلى ورائها لذلك رغب الإمام إلى تخفيف الجنود من هذه الجبهة، وترك حامية خفيفة تحت إمرة القاضي الحازم محمد ابن سعد الشرقي، ووكل إليه تدبير البلاد في الحرب والسلم، فوقف في وجه العدو وردَّه على عقبه كل ما همّ بغزو أو تقدم، حتى انتهى هذا العام، والحالة في هذا الميدان بين أخذ ورد، وتليين وشد.

---

(١) بلد من حجور شمالي حجة يتبع ناحية وقضاء وشحة.

(٢) جبل يطل على حجة من ناحية الجنوب.

وفي آخر هذا العام ضربت المدافع البريطانية (باب المنـدب)[1] الميناء اليمنية الهامة، وتَمّ لهم إحتلالها، ثم كَرَّت عليهم القوات العثمانية وعضَّدتها القبـائل اليمنيـة الجنوبيـة، قبائـل لواء تعـز وما اتصـل به من تهـامـة ومـا قـابله من الحواشب[2]، وقبائل وفيرة يمنية تطوعت للجهـاد ووثبت كالآسـاد، ونصر الله المسلمين واستعادوا باب المندب، وأخذت القوات العثمانية تنظم صفـوفها، والقبائل اليمانية تشدّ إزرها لحماية القسم الجنـوبي من غارات البـريطانيين، والوقوف في وجه الأجانب إن هم ارادوا باليمن شرّاً وسنذكر تفصيل ذلك في مـا يلي هـذا ان شـاء الله تعـالى، وانتهى بهـذا القـول في حـوادث سنـة ١٣٣٢ هـ في اليمن.

وبزغ هلال العام الجديد عام ١٣٣٣ هـ والأحوال في اليمن هادئـة إذا أستثينا حركة الإدريسي في القسم الشمالي من تهامة، وما عدا ذلك فالأمـور متسقة والشؤون مجتمعةوالإمـاموالقوّات العثمانية في تفاهم تام وحسن تجاور كما يرام، وليس في البـلاد ما يـدعو الى القلق غيـر الحركـة الإدريسية ومـا نجم من مبادي عدوان إيطاليا أوّلاً ثم بريطانيا على باب المندب ثانياً.

ومضت سنة ١٣٣٣ هـ والأحوال هادئة، ولم يحـدث في اليمن حادث يستحق أن يثبت ويسجل غير أمرين.

أحدهما تجريد الإمام لعصابة من المجاهـدين تحت إمْرة السيـد النبيل

---

(١) هذه الحادثة كانت بسبب المنافسة بين بريطانيا وحلفائها وبين المانيـا والدولـة العثمانيـة في السيطرة على المسالك المائية في البحر الأحمر وقد كتب عنهـا أحد البـاحثين الانجليـز مؤلفاً تـرجمة الـدكتور سيـد مصـطفى بعنوان العمليات البحـريـة البـريـطانيـة ضـد اليمن أبـان الحكم التـركي ١٩١٤-١٩١٩. انظره.
وانظر بشر الثناء الحسن ص ١٤٢ وأئمة اليمن ص ٣٠٢.

(٢) قبيلة كبيرة مسـاكنهـا في شمـال الحـج وجـزء متنـاثـر في جبـل صبـر المـطل عـلى تعـز (المقحفي ص١٣٢).

أحمد بن قاسم حميد الدين الى قضاء رداع وما يتصل به من قبائل البيضاء[1] لتأديب قبائل أمعنت في الشرور والمفاسد.

وثانيهما ثبوت القائد العثماني سعيد باشا[2] في مهاجمة مستمرة عدن التي تحكمها بريطانيا، فقد غزا على رأس قوة عثمانية يؤيدها المتطوعون من قبائل لواء تعز، وما جاوره، وكثير من المشايخ كآل نعمان وغيرهم، وزحف حتى استولى على (لحج)[3] وفر سلطانها العبدلي[4] إلى (عدن) وقابلتهم الجنود البريطانية، بهجمات حامية، ودفاع قوي، ولكن كل ذلك ذهب عبثاً، فقد ثبتت القوات العثمانية واليمنية، وأنزلوا بالبريطانيين خسائر فادحة، وضايقوهم وألجأوهم إلى الإنكماش في عدن، تحميهم الطائرات والأسلاك الشائكة والألغام، مخافة ان تقتحم القوات العثمانية عليهم الأبواب.

وسنشير في ما يلي: ان هذه القوات المرابطة في لحج المحاصرة لعدن مكثت في مراكزها، وثبتت في مرابطها حتى انتهت الحرب العالمية وعقدت حكومة الأستانة الصّلح مع الحلفاء، فكان ما سوف نذكره في حوادث عام ١٣٣٧ هـ ونريد أن نسجل هنا للتاريخ ان الجهود التي بذلتها القبائل اليمنية في حروب لحج، ضد البريطانيين جديرة بالإكبار والإعجاب، وإليها يرجع القسط الأوفر في نجاح الأعمال في هذا الميدان الخطير، ولا نعني بهذا بخس القوّات العثمانية حقها والله تعالى يقول (ولا تبخسوا الناس

---

(١) البيضاء: مدينة كبيرة في الجنوب الشرقي من صنعاء بمسافة ٢٧٢ ك.م وهي على مقربة من كيرس (المقحفي ص٦٣).

(٢) ذكر هذه الحادثة المؤرخ زبارة في أئمة اليمن ص ٢ ص ٣٠٢ وهدية الزمن ص ٢٠٩.

(٣) مخلاف كبير في الشمال الغربي من عدن بمسافة ٢٥ ميلاً.

(٤) هو السلطان علي بن أحمد العبدلي.

أشيـاءهم)[1] انما نـريد ان نسجل حقيقة تـاريخية قـد يطويهـا الإهمال في زواياه الحافلة بكثير من الحقائق الضائعة.

وفي سنـة ١٣٣٤ هـ جهـز الإمـام حملة تـأديبيـة إلى قبيلة الحـدا من القبائل الشرقية وعهد الى حاكم ذمار إذ ذاك السيد الكبير عبد الله بن احمـد الوزير[2] بقيادة هذه الحملة، وآزره المقداد[3] (من بلاد أنس) بعصـابة قـوية، وكانت قبيلة الحدا[4] قـد أمعنت في غيها، وشـرهت إلى طغيانهـا فساد فيهـا إخافة الـطرق وعدوان القـوي على الضعيف، واضطرب الأمن فيهـا، فتولت هذه الحملة تأديبهم، ونشبت بين الفـريقين معارك في بني الفـراصي[5] وبني عزيز. وامتدت الى منازل آل القـوسي[6] وبني زياد[7] وبني بخيت[8]، وانتهت هذه الحملة بخنوع هذه القبيلة واستسلامها ورضوخها.

وفي عـام ١٣٣٥ هـ بدرت بـوادر الشـر تلوح في جبـل (عيـال يـزيـد) وأخذوا في مهاجمة (كحلان تاج الدين) بغياً وتعصباً جاهلياً وضغـائن نفوس تسرع إلى الشّرر فساق الإمام الجنود إلى هذا الجبل لتأديب قبـائله المذعنـة للشر، ولما رأت قبائل الجبل تزاحف الجموع، وتكاثر الجنود سارعوا بتقديم رهائن الطاعة، ووثائق الانقياد لما يأمر به الإمام، وكفّـوا عن عدوانهم على قبائل كحلان، وحينئذ قبل منهم الإمام، وصرف عنهم الجموع، وصفح عما

---

(١) الآية.

(٢) هـو العلامـة الذكي عبـد الله بن أحمد بن محمـد الوزيـر ولـد سنـة ١٣٠٧ ونشأ في حجـر والـده وأخذ عن علماء صنعاء وغيـرها وتـولى مناصب متعـددة وشارك في الثـورة على الإمـام يحيى وكان من المعدمين سنة ١٣٦٧ (نزهة النظر ص٣٦٩).

(٣) هو القائد نصير الدين علي بن المقداد بن أحمد بن عبد الله الآنسي السابق ذكره.

(٤) قبيلة مشهورة موطنها في الشمال الشرقي من ذمار بمسافة ٣١ ك.م.

(٥) من موطنها ناحية عتمة ذمار.

(٦) من الحدا (المقحفي ص ٣٣٨).

(٧) من الحدا (نفسه ص ١٩٤).

(٨) مخلاف مشهور من مخاليف الحدا بالجنوب الشرقي من صنعاء (نفسه ٤٥).

فرط من سيئاتهم، ولكن هذا الصَّفح قد حملهم على الإغترار، وزَيّن لهم ما كانوا به يوجفون. فما انطوت أيام عام ٣٥ وأقبل عام ١٣٣٦ هـ إلاّ وقبائل الجبل تزحف إلى الشر شرهةً مندفعة، فأخذت تخيف المارَّة وتسلب الأموال، وتخيف السبل، وتعلن ثورتها، وتمردها على الإمام وكررت عدوانها، فانتقل الإمام إلى خمر، واخذ في جمع الجموع وتجهيز الجنود، وما هي إلاّ بضعة أيام فاذا جبل عيال يزيد يرزح ويئن والجنود تحيط به[1]، وتولى الإمام قيادة هذه الجنود بنفسه فانتقل الى (دعَّان) أحد قرى الجبل، وتولّى تأديبهم واذاقهم ما كانوا به يستهزؤون، فارعوت هذه القبائل وسلمت جميع الأشرار المفسدين، وحق بهم العذاب الأليم، وقدمت رهائن الطاعة والخضوع بعد أن ذاقوا مرارة العقاب الرادع.

وفي هذا العام عام ١٣٣٦ هـ جهز الإمام حملة عسكرية تحت إمرة السيد الكبير عبد الله بن احمد الوزير، لتأديب قبيلة (نهم) احدى قبائل المشرق، وعهد إليه بإصلاح شؤونهم، واطفاء نيران احقادهم وشرورهم، وكانت الأحداث والشرور فاشية في هذه القبيلة فتولى تأديبهم وانقلب برهائنهم ومشايخهم، بعد أن التأمت شؤونهم.

وبعد ان فرغ الإمام من تقرير شؤون جبل عيال يزيد انتقل من دعَّان، واتجه في شهر ذي القعدة الحرام من هذا العام (الى الروضة) إحدى منتزهات صنعاء وصحبه رجال موكبه، واجتمعت حول الإمام القبائل المنبثّة حوالي الطريق على كثرتها، وقدم الروضة في اليوم السابع عشر من القعدة في موكب يأخذ بالأبصار، اجتمعت فيه الرؤساء، ومن سائر الطبقات جموع وفيرة، وهرع من في صنعاء من أهلها لاستقبال الإمام ومشاهدة موكب

---

(١) يقول المؤرخ زبارة في هذه الحادثة في ليلة النصف من رمضان سنة ١٣٣٥ كان تجمع الآلاف من قبائل جبل عيال يزيد للانتصار للعراشي الواصل إليهم فكان قدوم أهل الجبل في هذه الليلة إلى كحلان.

الإمـامة الحـافل بـالجلال والـروعة، وخـرجت العساكـر العثمانيـة، وأمراؤها العسكريون، وغيرهم للقيام بواجب الإستقبال البهيج، واستقر الإمام في داره بـالروضـة، وقابـل الناس على اختـلاف طبقاتهم، ونـال كل فـريق قسطه من إقباله وحسن تلقّيه، وانصرفت الجمـوع مغتبطة ممـا شاهـدت وعاينت، وقـد كان قدوم الإمام إلى الروضة من اعظم التدابير الحازمة، والأعمال المجديـة إذ أن كثيراً من القبائـل المجاورة لصنعـاء كانت قـد أخذت في ضـروب من الشـرور، وأصبح الأمن ينـزوي ويتقلص والإعتداء ينتشـر ويستفحـل، وكـان الوالي العثماني وقائد القوات العثمانية في جولـة في جنوب البـلاد وغربهـا، فبقـدوم الإمام اطمأنت الاحوال، وهـدأت النفوس، وتـوارت الشرور وأمنت المارة، ونفذت الأحكـام واخذ الإمـام يدأب في اعمـاله في مقـره بالـروضة ووفود القبائل والحكام والأعيان تتواصل وتتواتر، وانطوت صفحـة هذا العـام عام ١٣٣٦ هـ، وجلالة الإمام مقيم في الـروضة بجـوار صنعاء وبهـذا انتهى الكلام على القسم الثاني من كتابنا هذا كما رسمناه في ديباجة الكتاب.

هـذا مـا آثـرنـا تـطريـز هـذا القسم الثـاني بـه، وهنـا انتهى بنـا القـول عـلى القسم الثاني من الكتاب، وقد شمل كمـا رأيت جميع الحـوادث والشؤون، منـذ معاهـدة دعّان إلى ختـام عام ١٣٣٦ هـ، وسنبـدأ في القسم الثالث من كتابنا هذا متوخين الطريقة التي سلكناها في القسمين الذين فرغنا من العمل فيهما، من الميل إلى الإيجاز مع الإلمام بأطـراف الحوادث ولبـابها، بـاذلين الجهد في حسن تنسيقها وربطها بوثاق الإئتلاف والإنسجام، حـريصين على سرد علل الحوادث وبيان آثارها واطوارها، ليكون هذا الكتاب مؤدّياً للحاجة التي ينشـدها قـراء التاريـخ ويهواهـا روّاد البحث ويجنح اليهـا ذوق العصر، وأسلوب التاريخ الحديث ومن الله نسأل الإعانة والتوفيق إلى الإحسان في ما نقوم به والحمد لله رب العالمين.

فهرست